السنة الخامسة والثلاثون

وفيها قُتل عثمان رضي الله عنه، وحجَّ بالناس عبد الله بن عباس، وولي أمير المؤمنين علي عليه السلام الخلافة، وسنذكر سيرة عثمان في ترجمته إن شاء الله تعالى.

فصل في ذكر خلافته

وكُنيته أبو الحسن وأبو تُراب؛ قال البخاري بإسناده عن سهل بن سعد وجاءه رجل فقال: هذا فلان عند المِنبر يَذكر عليَّ بن أبي طالب أو يَسبُّه، قال: وماذا يقول؟ قال: يقول: أبو تُراب، فغضب سهل وقال: والله ما كَناه به إلّا رسول الله ﷺ، وما كان اسمٌ أحبَّ إليه منه؛ دخل علي يوماً على فاطمة، فأغضبتْه في شيء فخرج إلى المسجد، فنام على التراب، فخَلَص إلى ظَهره، فجاءه رسول الله ﷺ فمسح التُّراب عن ظهره وقال له: «اجلس أبا تُراب» قالها مرتين. متّفق عليه[1].

وقد أخرجه الحُميدي وفيه: فدخل رسول الله ﷺ بيتَ فاطمة وقال: «أين ابنُ عمّك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيءٌ، فغاضبني وخرج إلى المسجد، ولم يَقِل عندي، فخرج إليه رسول الله ﷺ وهو مُضطجِعٌ على التّراب فجعل يقول: «قم أبا تراب»[2].

وفي نسخة الحميديّ أيضاً عن سهل وفيه: استُعمل رجلٌ من آل مروان على المدينة فقال: لعن الله أبا تُراب، أو يلعن علياً، فقال سهل بن سعد، وذكره.

وأخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: دخل سعد بن أبي وَقّاص على معاوية فقال له: ما مَنَعك أن تَسُبَّ أبا تُراب[3]، وسنذكر الحديث.

قال الحميدي: كان بنو أمية يَعيبون علياً بهذا، قال سهل: ووالله ما كَناه به إلا رسول الله ﷺ.

وقيل: إن الذي سَبَّه مروان بن الحكم.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٠٣)، وصحيح مسلم (٢٤٠٩).

(٢) الجمع بين الصحيحين (٩١٦).

(٣) صحيح مسلم (٢٤٠٤) (٣٢).

وقال هشام: كان يُكنى أبا قَصْم، وذكره جدّي في «التّلقيح»[١] ولم يُفسِّره، وقال الفراء: القَصْم: الكَسْر، وكان عليّ يَكسرُ أعداءَ الله ورسولِه ويُبيدُهم.

وقال الواقدي: لما وضعته أمُّه سمَّته باسم أبيها أسداً، وكان أبوه غائباً، فلما قَدم سمَّاه علياً.

وقال ابنُ الكلبي: لما وضَعتْه أمُّه سَمَّته حَيدرة، وهو من أسامي الأسد، وسُمِّي به لغِلَظِ عُنُقه وذراعيه، وهذه من أوصاف عليّ، قال: والدّليل عليه أنه ارتَجز يومَ خيبر:

أنـا الـذي سَـمَّـتْـنـي أُمِّـي حَـيـدَرَهْ[٢]

ثم سمَّاه أبوه علياً.

وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، وقد ذكرناها.

ذكر صفته:

قال ابن سعد: حدثنا يزيد بن هارون قال: حدثنا إسماعيل بن [أبي] خالد، عن الشعبي قال: رأيتُ علياً عليه السلام، وكان عريضَ اللحية قد أخذت ما بين مَنْكِبَيْه، أصلع، على رأسه زُغَيْبات.

قال: وقال أبو إسحاق: رأيت علياً أبيضَ الرّأس واللّحية، أصلع أجْلَح.

وروى ابن سعد عن أبي جعفر محمد بن علي، وسُئل عن صفة علي، فقال: كان آدم شديدَ الأُدمة، عظيمَ العينين، ليس بالطويل ولا بالقصير، عظيمَ اللحية، أصلع، أبيضَ الرأس واللحية، ذا بَطن.

لم يَصفه بالخضاب سوى سَوادة بن حَنظلة فإنه قال: رأيتُه خَضَب.

وقال ابن سعد: قال سَوادة بن حَنْظلة القُشَيري: رأيت علياً أصفَرَ اللحية.

وروى ابن سعد أيضاً عن محمد ابن الحَنَفيّة قال: خضب عليّ بالحنّاء مرةً ثم ترك[٣].

وسنذكر ما يتعلّق به في سنة أربعين إن شاء الله تعالى.

---

(١) ص ١١٠.

(٢) غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٥٠، وانظر تاريخ دمشق ١٢/ ١١٨ (مخطوط).

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٢٣-٢٥.

ذكر خلافته:

اتّفق علماءُ السِّيَر على أنه وَلي الخلافة في ذي الحجَّة سنةَ خمسٍ وثلاثين في الأصح، وإنما اختلفوا في أيِّ يوم بُويع فيه على أقوال؛ أحدها: يوم الجمعة لخمسٍ بقين من ذي الحِجَّة، قاله ابن الكلبي، وحكاه الطبري عن سيف بن عمر عن أشياخه.

والثاني: يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة، رواه أبو بكر بن أبي الدنيا عن أشياخه.

والثالث: يوم السبت صَبيحةَ اليوم الذي قتل فيه عثمان، قاله الواقدي.

والرابع: يوم الأحد لثلاث عشرة أو ثمان عشرة بقين من ذي الحجة.

والأصح ما ذكره الواقدي، فإن ابن سعد قال في «الطبقات»[1]: قُتل عثمان يوم الجمعة لثمان عشرة ليلةً من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وبُويع لعلي في الغد من اليوم الذي قُتل فيه عثمان.

وروى سيف عن أشياخه: محمد بن عبد الله بن سَواد، وطلحة بن الأعلم، وأبو حارثة قالوا: بقيت المدينةُ شاغِرةً خمسةَ أيام من إمام، وأميرُها الغافقي بن حرب، وهم يلتمسون مَن يُجيبُهم إلى القيام بالأمر فلا يَجدونه، فأتى المصريون علياً، فاختبأ منهم، وخرج إلى ظاهر المدينة، ولاذ بحيطانها، وتبرَّأ منهم، وتبعه المصريّون فلم يَقدروا عليه. وطلب الكوفيون الزُّبير فتباعد منهم، وطلب البصريّون طلحة فتبرَّأ منهم، فعدلوا عن الثلاثة، وبعثوا إلى سعد بن أبي وقاص وقالوا: أنت من أهل الشُّورى، فأقبلْ نُبايعك، فرأيُنا قد اجتمع عليك، فبعث إليهم: قد خرجتُ أنا وابنُ عمي منها فلا حاجة لي فيها، ثم تمثَّل وقال: [من البسيط]

لا تـخـلِـطـنَّ خـبـيـثـاتٍ بـطـيِّـبـةٍ ... واخـلـع ثـيـابَـك مـنـهـا وانـجُ عُـريـانـا

قال سيف: ولما عرضوها على طلحة قال: [من الطويل]

ومـن عَـجَـبِ الأيـام والـدهـرِ أنـنـي ... بَـقـيـتُ وحـيـداً لا أُمِـرُّ ولا أُحـلـي

(١) ٣/ ٢٩، وانظر الأخبار السابقة في تاريخ الطبري ٤/ ٤١٥-٤١٨، والمنتظم ٥/ ٦٥-٦٦، وتاريخ بغداد ١/ ١٣٥.

فتركوه وقالوا: إنك لتُوعِدنا، ثم لقوا الزبير فعرضوها عليه فأنشد: [من الطويل]

متى أنت عن دار بفَيحانَ راحلٌ وباحتِها تَخنو عليك الكتائبُ

فقالوا: إنك لتُوعِدنا، فلقوا علياً، فعرضوها عليه فتمثل: [من الطويل]

ولو أن قومي طاوَعَتْني سَراتُهم أمرتُهمُ أمراً يُديخُ الأعاديا

فقالوا: إنك تُوعدنا، ووالله لئن لم تفعل لنُلحقَنَّك بعثمان.

وقال سيف: لَقوا عبد الله بن عمر فعرضوها عليه، فقال: إن لهذا الأمر انتقاضاً، فالتمسوا غيري، فبقوا حيارى لا يَدرون ما يَصنعون، فقالوا: يا أهل المدينة، قد أجَّلناكم يومَكم هذا، فوالله لئن لم تتَّفقوا اليوم على أحدٍ لنقتُلَنَّ علياً وطلحة والزبير وأُناساً كثيراً، فأقبل الناسُ على عليٍّ وقالوا: قد ترى ما نزل بالإسلام، فهلُمَّ لنُبايعك، فامتنع.

وقال الطبري[1]: اجتمعت الصحابةُ إلى علي، وسألوه أن يَليَ أمرَهم، فأبى وقال: لأن أكونَ وزيراً خيرٌ من أن أكونَ أميراً، ولا حاجةَ لي في أمركم، أنا معكم، مَن اخترتُم رضيتُ به، ثم دخل حائط عمرو بن مَبْذول، وأغلق الباب، فتسوَّروا عليه الحائط، وبايعوه وقالوا: لا نُريد سواك.

وحكى داود بن أبي هند، عن الشعبي قال: لما قُتل عثمان أتى الناسُ علياً وهو في سوق المدينة، وقالوا: ابسُطْ يدَك نُبايعْك، فقال: لا تَعجَلوا، فإن عمر كان رجلاً مُبارَكاً، وقد أوصى بها شُورى، فأمهِلوا حتى يجتمع الناسُ عليّ ويتشاورون، فرجع الناس عنه، ثم قال بعضُهم لبعض: إن رجع الناسُ إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يَقُمْ إمام، لم نَأمَن اختلافَ الأمَّةِ وفسادَها، فعادوا إلى عليٍّ، فقبض الأشترُ على يده، فقبضها عليٌّ وقال: أبعد ثلاثة! فقال له: والله لئن تركتَها اليوم لتعْصِرنَّ عينيك عليها حيناً، فبايعه العامّة، قال: وأهل الكوفة يقولون: أوَّلُ مَن بايعه الأشتر.

وروى سيف بن عمر عن أشياخه: محمد وطلحة وأبي حارثة وأبي عثمان قالوا: لما

(١) في تاريخه ٤/ ٤٢٧ـ٤٢٨.

كان يوم الخميس على خمسة أيام من مقتل عثمان؛ هرب من بني أمية مَن أطاق الهرب إلى مكة، فيهم مروان وسعيد وغيرهما، فقالوا أهلُ مصر لأهل المدينة: أنتم أهل الشورى، وأنتم تَعقدون الإمامة، وأمرُكم جائز على الأمة، فانظروا رجلاً تُنصّبونه، ونحن لكم تَبع، فقال الجمهور: نحن بعليٍّ راضون، فبايعوه.

وقال هشام: وقد قيل إن الزبير لم يُبايع، وليس كما زعموا بل بايع.

وقال سيف: حدثني محمد بن قيس، عن الحارث الوالِبيّ قال: جاء حكيم بن جبلة بالزبير حتى بايع؛ فكان الزُّبير يقول: جاءني لُصوص عبد القَيس فبايعتُ واللّجُّ على عُنقي، يعني السيف.

وحكى الطبري أيضاً عن عمر بن شَبَّة بإسناده إلى محمد ابن الحنفية قال: كنتُ مع أبي حين قُتل عثمان، فأتاه أصحابُ النبي ﷺ فقالوا: إن هذا الرجل قد قُتل، ولا بدَّ للناس من إمام، ولا نَجدُ أحداً اليوم أحقَّ بهذا الأمر منك؛ لا أقدمَ سابقةً، ولا أقربَ إلى رسول الله ﷺ، فقال: لا تفعلوا، فقالوا: والله ما نحن بفاعِلين حتى نُبايعَك، قال: ففي المسجد، فإن بيعتي لا تكون إلا عن رِضى المسلمين، فدخل المهاجرون والأنصار فبايعوه، ثم تتابع الناس[1].

وقال في «نهج البلاغة»: إن علياً كرّم الله وَجهه قال لهم: دَعوني والتمسوا غيري، فإنا مُستقبلون أمراً له وجوه، وأسباباً لا تقوم لها القلوب، ولا تثبتُ عليها [العقول]، إن الآفاق قد أغامت، والمحجَّة قد تنكَّرتْ، وإني [إن] أحببتُكم ركبتُ بكم ما أعلم، ولم أُصغِ إلى قولِ قائلٍ، وعيبِ عائب، وإن تركتموني فأنا كأحدكم، ولعلّي أسمعُكم وأطوعُكم لمن تُولّونه أمرَكم، وأنا لكم وزيرٌ خيرٌ مني لكم أمير[2].

قال الجوهري: يقال غامت السماء وأغامت؛ أي: تغيَّمت[3]، ومعناه: أن الآفاق قد أظلمت بالفِتَن.

واختلفوا في أول من بايعه؛ فقال الواقدي: أول مَن بايعه طلحة بن عُبيد الله

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٩ ، وانظر ٤٢٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة ٧/ ٢٠.

(٣) الصحاح: (غيم).

التيمي، وكان أشلّ، شلّت يدُه يومَ أُحد، فنظر إليه حَبيب بن ذُؤيب، وقيل قَبيصة بن ذؤيب فقال: إنا لله، يدٌ شَلاء، أمرٌ لا يَتمّ.

وقال ابن أبي الدنيا: بايعه الناس في دار عمَرو بن مِحصن الأنصاري ثم بويع البيعةَ العامة في المسجد.

وقال الهيثم عن الشعبي: لما جاء الناسُ أرسالاً إلى عليّ امتنع من البيعة، فأخذ الأَشتر بيده وقال: اقبل، قال علي: أبعد ثلاثة!؟ لا حاجةَ لي فيها، فقال الأشتر: والله لئن تركتَها اليوم لتَعصِرَنّ عليها عينيك غداً، ثم بايعه فهو أول مَن بايع وبايعه الناس.

وروي أن عماراً أوّلُ مَن بايَعه، فقال البلاذري: قُتل عثمان وعلي بأرضٍ يقال لها البُغَيبغة؛ فوق المدينة بأربعة فَراسخ، فلما أُخبر أقبل نحو المدينة، فلقيه عمار بن ياسر فقال: مُدَّ يدك، فهو أول من بايعه.

ذكر من تخلَّف عن بيعته:

قال هشام: بايعه أعيانُ المهاجرين والأنصار، وعامّة الصحابة: طلحة، والزبير، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نُفَيل، وعمار بن ياسر، وسَهْل بن حُنَيف، وأبو أيّوب الأنصاري، وخُزَيمة بن ثابت، ومعظم أهل بدر وبيعة الرضوان، وامتنع من بيعته: حسان بن ثابت الشاعر، وكان عثمان قد أعطاه مالاً طائلاً، وزيد بن ثابت، وكان عثمان قد أعطاه مئة ألف درهم، وسعد بن أبي وقاص، و عبد الله بن عمر، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مسلمة الأنصاري، وأبو سعيد الخدري، وصُهَيْب، ورافع بن خَديج، وعبد الله بن سلام، والنعمان بن بشير، وقُدامة بن مَظعون، وكعب بن مالك، وفَضالة ابن عُبيد، وكعب بن عُجرة، قال: وكانوا خمسة عشر، ولم يمتنع من البيعة غيرهم، وهؤلاء يُسمّون العثمانية.

قلت: وذكر ابن سعد في «الطبقات»[1] مَن سَمَّينا وقال: بايعه سعد بن أبي وقّاص، وأسامة بن زيد، ومحمد بن مَسلمة، وزيد بن ثابت، وجميع من كان بالمدينة من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم.

---

(١) ٣/ ٢٩.

وقال هشام وسيف وغيرهما: لما جيء بهؤلاء إلى المسجد ليُبايعوا بدؤوا بطلحة والزبير، فقيل لهما: بايعا، فقالا: نحن أول مَن بايع طوعاً.

وقال الطبري عن الزهري: تَلَكَّأا، فسَلَّ الأشترُ سيفَه وقال: بايعا وإلا ضربتُ عُنقكما، فقال طلحة: وأين المذهب عنه؟! فقال لهما علي: إن أحببتُما بايعتُكما، قالا: لا بل أنت أولى، فبايعاه، ثم طلبا منه أن يكونا على بيت المال فامتنع علي، فقالا: ما لنا في هذا الأمر إلا كلَحْسَةِ الكلبِ أنفَه، وكانا لما قُتل عثمان أخذا مفتاح بيت المال، فلما لم يولّهما علي إياه قالا: بايعناه خشيةً على أنفُسِنا[1].

وقيل إن طلحة قال لعلي: أمِّرني على البصرة، وقال الزبير: أمّرني على الكوفة، فقال: لا بل أَقيما عندي أتحمَّل بكما.

قال هشام ـ وقد حكاه الطبري ـ وجيء بسعد بن أبي وقاص فقالوا له: بايع، فقال: إذا بايع كافّة الناس بايعتُ، وفي رواية الطبري: فقال علي لسعد: بايع، فقال: لا حتى يبايع الناس فما عليك مني بَأسٌ، فقال الأشتر لعلي: دَعْني أضرب عُنُقَه، فقال له علي: دَعْه فأنا حَميلُه أي: كفيلُه، وقال علي لسعد: إنك ما علمت سيِّء الخُلُق صغيراً وكبيراً[2].

وجيءَ بعبد الله بن عمر، فقيل له: بايع فامتنع، فلبَّبه الأشتر وأراد قتلَه، فمنعه علي.

قال الزهري: والعجب لابن عمر: تَمنّع من بيعة علي ويُبايع ليزيد بن معاوية ولعبد الملك بن مروان.

قال: وجيءَ بأسامة بن زيد، فقيل له: بايع فاعتذر بقتل الرجل الذي قتله في السّرية وقال: لا أقاتُل من قال لا إله إلا الله على الدنيا، وإن مما عَهد إليّ رسول الله ﷺ أن أُجاهدَ معكم الكفار، أما إذا قاتل بعضكم بعضاً كسرتُ سيفي، واتخذتُ سيفاً من خَشَب.

وقيل لزيد بن ثابت: بايع، فقال: قد كان بيننا مَودَّة، ولكن لا مُواساةَ في النار،

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٩.

(٢) في تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٨ أن علياً قال ذلك لابن عمر.

وقيل لمحمد بن مسلمة: بايع، فامتنع.

وقد أخرج أحمد في «المسند» قصةَ محمد بن مسلمة من طريقين؛ أحدهما:

قال أحمد بإسناده عن الحسن بن علي قال: لما بُويع أميرُ المؤمنين بعث إلى محمد ابن مَسلمة، فجيءَ به، فقال له علي: ما خَلَّفك عن هذا الأمر؟ قال: دفع إليّ ابنُ عمك ـ يعني النبي ﷺ ـ سيفاً وقال: «قاتلْ به ما قوتل العدوّ، فإذا رأيتَ الناسَ يضربُ بعضُهم بعضاً، فاعْمِد به صخرةً فاضرِبْه بها، ثم الزم بيتَك حتى تأتيك مَنِيَّةٌ قاضِيَةٌ، أو يَدٌ خاطئة»، فقال علي: خلُّوا عنه[1].

الطريق الثاني: قال أحمد بإسناده، عن علي بن زيد، عن أبي بُردة قال: مررتُ بالرَّبَذَة، فإذا فُسْطاط مَضروب، فقلت: لمن هذا؟ قيل: لمحمد بن مَسلمة، فاستأذنتُ عليه، فأَذِن لي، فدخلتُ عليه فقلتُ: رحمك الله، إنك من هذا الأمر بمكان، فلو خرجتَ إلى الناس فأمرتَ ونهيتَ، فقال: إن رسول الله ﷺ قال: ستكون فِتنةٌ وفُرقَةٌ واختلاف، فإذا كان كذلك، فأْتِ بسيفك أُحُداً فاضربْ به عُرضَه، واكسِرْ نَبْلَك، واقطَعْ وَتَرك، واجلِسْ في بيتك» فقد كان ذلك، وفعلتُ ما أمرني به رسول الله ﷺ، ثم استَنْزَلَ سيفاً كان مُعَلَّقاً بعَمود فُسطاطه فاخترَطَه، وإذا سيفٌ من خَشَب، قال: فقد فعلتُ ما أَمَرني رسول الله ﷺ واتخذتُ هذا أُرْهِبُ به الناس[2].

وذكر المسعودي في تاريخه[3] أن جماعة من بني أمية ممن تخلَّف عن بيعة علي عليه السلام؛ منهم: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عُقبة جاؤوا إلى علي، فقال له الوليد: إنا لم نَتخلَّف عن بيعتك رغبةً عنك، ولكنّك قتلت أبي، وجَلَدْتَني حَدّاً، وقال سعيد بن العاص: قتلتَ أبي، وقال مروان: شَتمتَني، ولعنتَ أبي، وعِبتَ على عثمان تقريبَه إياي، ثم بايعوه.

قلت: وقد وهم المسعودي، فإن هؤلاء المذكورين لما قُتل عثمان هربوا إلى مكة، وكانت عائشة بها، فاتّفقوا على ما اتّفقوا عليه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

---

(١) مسند أحمد (١٧٩٧٩).

(٢) مسند أحمد (١٦٠٢٩).

(٣) ٤/٢٩٦ـ٢٩٧.

ذكر أوَّل خطبةٍ خطبها أمير المؤمنين:

قال هشام بن محمد، عن أبيه قال: لما بويع علي عليه السلام صَعِد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، وقال: يا أيها الناس، إن الله أنزل كتاباً هادياً؛ بيَّنَ فيه الخير والشر، فخُذوا بالخير، ودَعوا الشرّ، وامتَثِلوا الأوامر تُؤدّيكم إلى الجنة، واجتنبوا النّواهي لئلا تُؤدّيكم إلى النار.

ذكر أول ما بدأ به بعد البيعة:

قال هشام ومَن سمَّينا، ورواه سيف بن عمر، عن سليمان بن أبي المغيرة، عن عليّ ابن الحسين، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض، قالوا: لما استقرَّت له البيعةُ اجتمع إليه المهاجرون والأنصار وقالوا: إن هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم هذا الرجل، يعنون عثمان، فماذا ترى؟ فقال: يا إخوتي، لستُ أجهل ما قلتُم، ولكن كيف أمتنعُ بقومٍ يَملكوننا ولا نَملكُهم، وقد ثار معهم أعداؤكم وعُبدانكم، وثابت إليهم الأعرابُ من كلِّ أُفُقٍ، وهم خِلالكم يَسومونكم ما شاؤوا، فهل تَرون مَوضعاً للقُدرة على شيءٍ مما تُريدون؟ قالوا: لا، قال: فالصَّبرَ الصَّبر؛ حتى تهدأ الناس، ويتفَرّقوا عنهم، وننظر ما يكون، قالوا: نعم، ثم أمر مُنادِيه فنادى: بَرئت الذمَّةُ من الأعراب الذين بالمدينة إن لم يَخرجوا إلى مياههم، ومن عبدٍ لا يَرجع إلى مواليه، فتَذَمَّرت السَّبَئيَّةُ، وخرجت الأعرابُ إلى مياهها، ورجعت العبيدُ إلى مَواليها، فدعى عليٌّ طلحة والزّبير وأعيانَ الصحابة، وقال: دونكم الآن وعَدُوّكم فخذوا ثأرَكم، فتقاعدوا وخافوا، فأنشد: [من الطويل]

ولـو أنّ قـومـي طـاوَعَـتْـني سَـراتُـهـم[1]

وقال له طلحة: دَعْني آت البصرة، فلا أَفجؤك إلا بالخيل، وقال له الزُّبير: دعني آت الكوفة فلا أفجؤك إلا بالخيل، فقال: الأناةَ الأناة حتى أنظرَ في أمري.

---

(١) تمامه: أمرتهم أمراً يُديخ الأعاديا، وهو في تاريخ الطبري ٤/٤٣٨، وسلف قريباً.

ذكر دخول المغيرة بن شُعبة عليه:

قال علماء السير منهم سيف بن عمر قالوا: دخل المغيرة بن شُعبة على أمير المؤمنين عقيب البيعة فقال له: إن لك حقَّ الطاعة والنّصيحة، وإن الرأيَ اليوم تُحرِزُ به ما في الغد، وإن الضَّياع اليوم تُضيّع به ما في الغد، أَقِرَّ معاوية وابنَ عامر على عملهما، وعمالَ عثمان على أعمالهم، حتى إذا أتَتْك طاعتُهم وبيعةُ الجنود استَبْدَلْتَ أو تركتَ، فإنك إذا أرسلتَ إليهم بعُهودهم مَهدوا البلاد، وسَكّنوا العباد، فقال له: والله لو كانت وِلايتي ساعةً من نهار لا وَلَّيتُهم وأمثالهم على المسلمين.

فخرج المغيرةُ من عنده، فلما كان من الغَد دخل عليه فقال: قد كنتُ أشرتُ عليك أمسِ برأيٍ، وقد رأيتُ اليومَ غيرَه؛ وهو أن تُبادِرَهم بالعَزْل ليُعرفَ المطيعُ من المخالف، ويُستقبَل أمرُك.

قال سيف: ثم خرج المغيرة من عنده، فاستقبله ابنُ عباس داخلاً ـ وقد كان ابنُ عباس على الحجّ، أمَّره عثمان ـ فقال له: رأيتُ المغيرة خارجاً من عندك؟! فقال: جاءني بالأمس بذَيَّة وذَيَّة، وجاءني اليوم بذَيَّة وذَيَّة.

وفي رواية هشام بن محمد عن أبيه قال: قَدِم ابنُ عباس المدينة بعد خمسةِ أيام من قتل عثمان، فوجد الناس يُبايعون عليّاً؛ وقد خرج المغيرة بن شعبة من عنده، فقال له ابن عباس: ما يصنع هذا الدَّاهيةُ عندك؟ فأخبره بما قال، فقال: أمّا أمسِ فقد نَصَحك، وأما اليوم فقد غشَّك، قال: فما الرّأي؟ قال: كان الرأيُ قبل اليوم أن تخرج حين قُتل الرجل، فتأتيَ مكة، فتدخُلَ دارَك، وتُغلقَ بابَك، فإن كانت العربُ لجائِلةً ومُضطرِبةً في أثرك فلا تَجدُ غيرَك، وأما اليوم فإن بني أمية يَطلبون بدم الرَّجل، وسيُلزمونك إياه، ويُموِّهون على الناس.

وقال الواقدي: حدثني ابن أبي سَبْرة، عن عبد المجيد بن سُهيل، عن عُبيد الله بن عبد الله بن عُتبة، عن ابن عباس قال: دعاني عثمان، فاستعملني على الحج، فأقمتُ للناس الحج، ثم قدمتُ المدينةَ وقد بويع لعلي، فأتيتُه في داره، فوجدتُ عنده المغيرة ابن شُعبة مُستخْلِياً به، فحبَسَني حتى خرج من عنده، فدخلتُ فقلتُ له: ما قال لك؟ فقال: قال لي مرَّةً قبل هذه: أرسل إلى ابن عامر ومعاوية وعمالِ عثمان بعُهودهم،

وأَقِرَّهم على أعمالهم، ويبايعون لك الناس، قال: فأبَيْتُ عليه وقلت: لا وَلَّيتُ هؤلاء أبداً، ولا يجوز أن يُولَّى أمثالهم.

فانصرف وأنا أعرفُ أنه يَرى أني مُخطىء، ثم عاد إليَّ الآن فقال: قد رأيتُ بعد ذلك أن تصنَعَ الذي رأيتَ؛ فتَنزعهم وتستعين بمن تثق، فقلت: أما في المرّة الأولى فقد نَصَحك، وأما في الثانية فقد غَشّك، لأنك إذا عَزَلْتَهم يقولون: هو قتل صاحبَنا، فيُؤلّبون عليك، فقال: والله لا أُولّي أحداً منهم أبداً، فإن قَبِلوا فذلك خيرٌ لهم، وإن أدبروا بذلتُ لهم السيف.

قال ابن عباس: ثم قال لي: سر إلى الشام فقد وَلَّيتُكها، فقلتُ: ما هذا برأي، معاويةُ رجلٌ من بني أمية، وهو ابنُ عمِّ عثمان وعاملُه عليها، ولستُ آمَنُ أن يضربَ عُنُقي بعُثمان، أو أدنى ما يَصنَعُ بي أن يَحبسني، فيتحكَّمَ عليّ، ولكن اكتُب إلى معاوية فمَنِّهِ وعِدْه، فأبى عليّ وقال: والله لا كان هذا أبداً.

وهذه رواية الواقدي، وقال هشام: لما قال له ابن عباس: نصحك بالأمس وغشَّك اليوم، فقال: وكيف؟ قال: لأن بني أمية ومعاوية أصحابُ دنيا، فمتى أبقيتَهم لم يُبالوا مَن وَلِيَ هذا الأمر، ومتى عَزلتَهم أخذوا هذا الأمر بغير شورى، وقالوا: قَتل صاحبَنا، وألَّبوا عليك؛ فانتقَضَ أهلُ الشام وأهلُ العراق، مع أني لا آمَنُ طلحة والزبير أن يكونا عليك.

فقال له علي: أمّا ما ذكرتَ من إقرارهم؛ فما أشكُّ أنه خيرٌ في عاجل الدنيا وصلاحها، وأمّا الذي يَلزَمُني من الحقِّ والمعرفةِ بهم فلا يحلُّ لي أن أُبقي منهم واحداً ساعةً من نهار.

وبلغ المغيرة قول ابن عباس فقال: صدق، نصحتُه أولاً، فلما لم يَقبل غششتُه، فخرج المغيرة بعد هذه المقالة إلى مكة.

وقال الهيثم: قال المغيرة لعلي: وَلِّهم شهراً واعزلْهم دهراً، فقال: لا والله ولا ساعة، ثم تمثل فقال: [من الطويل]

فما مِيتةٌ إن مِتُّها غيرَ عاجزٍ بعارٍ إذا ما غالَت النَّفْسَ غُولُها

فقال له المغيرة: اعزل من شِئتَ، واستَبْق من شئت، وفي رواية: اعزل من شئت واستبق معاوية، فلم يقبل، وكذا أشار عليه ابن عباس فامتنع.

وفي رواية أن ابن عباس قال لعلي: ألم تسمعْ رسول الله ﷺ يقول: «الحربُ خَدْعَة»[١]، فقال: والله لأَصدُرنَّ بهم بعد وُرود، ولأَترُكنَّهم يَنظُرون في دُبُر الأمور، ثم لا يَعرفون ما كان منها، فقال له ابن عباس: ستعلم.

وفي رواية الطبري: فقال علي: يا ابنَ عباس، لستُ من هناتك وهنات معاوية في شيءٍ، أنت تُشير علي وأنا أرى، فإذا عصيتُك فأطِعني، فقال له ابن عباس: إن أيسَرَ ما لك عندي الطاعة[٢].

ذكر دخول الأشعث بن قيس عليه:

حكى أبو اليقظان، عن الأشعث قال: دخلتُ على أمير المؤمنين بعدما بويع بالخلافة، فقلتُ له: أَبْقِ معاوية على الشام، فإن عمر ولّاه مُدَّةَ خلافتِه، وولّى طلحةَ البصرة، والزبير الكوفة، ثم بعد ذلك أنت بالخيار فيهم، فامتنع علي، قال أبو اليقظان: فخرج الأشعث وهو يقول: [من الطويل]

نصحتُ علياً في ابن هنْدٍ مقالةً ... فردَّتْ ولا يسمع لها الدهر ثانيه
وقلتُ له أرسلْ إليه بعَهده ... على الشام حتى يستقرّ معاويه
فتحكم فيه ما تراه فإنه ... لَداهيةٌ فارفِقْ به أيّ داهِيه
فلم يَقبل النُصحَ الذي جئتُه به ... وكانت له تلك النصيحةُ كافيه[٣]

وقال الواقدي: ولما ولي علي الخلافة انتزع إقطاعات كان أقطعها عثمان لبني أمية وغيرهم، ورَدّها في بيت المال، وقسم ما كان في بيت المال، ولم يُفضّل أحداً على أحد، وأول من أجاب إلى بيعته أهل الكوفة ومصر.

وفي هذه السنة سار قُسْطنطين بن هرقل ملك الروم من بلاده قاصداً بلاد الإسلام فغرق.

---

(١) أخرجه أحمد (٦٩٧) من حديث علي، والبخاري (٣٠٢٧) و(٣٠٣٠)، ومسلم (١٧٣٩) و(١٧٤٠) من حديث أبي هريرة وجابر.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤٤١.

(٣) في مروج الذهب ٤/ ٣٤٢ أن الشعر للمغيرة.

قال الواقدي: فحدثني هشام بن الغاز، عن عُبادة بن نُسيّ قال: سار ابنُ هرقل من القسطنطينية في ألف مركب؛ مملوءة من العُدد والأموال والرجال، وبِحمْلٍ لم يُرَ مثله، فلما توسَّطَت المراكبُ اللجَّة أرسل الله عليها قاصفاً، فغرق الجميع، ونجا ابنُ هرقل في مركب صغير؛ ألقته الريح إلى جزيرة صِقِلية، فدخل الحمّام، فدخلوا عليه وقالوا: أهلكتَ دين النصرانية بشُؤم زُحَلِك، فقتلوه.

فصل وفيها تُوفّي

عامر بن ربيعة

ابن مالك بن عامر بن ربيعة بن حُجْر بن سلامان بن مالك بن ربيعة بن رُفَيدة بن عَنْز ابن وائل بن عبد الله العَنْزي العَدوي، حليفُ الخطّاب بن نُفَيل والد عمر بن الخطاب.

قال البخاري: عَنْز بإسْكان النون حيٌّ من اليمن.

وقال الدارقطني: عَنْز بن وائل؛ أخو بكر بن وائل.

وقال ابن سعد: ولما حالف الخطَّاب تبنّاه، فكان يُقال: عامر بن الخطاب؛ حتى نزل قوله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾[الأحزاب: ٥] فرجع عامر إلى نسبه، فقيل عامر ابن ربيعة[١].

وعامر من الطبقة الأولى من المهاجرين، أسلم قديماً قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين، وكانت معه امرأتُه ليلى بنت أبي حَثْمة العدويّة، وهاجر إلى المدينة، فلم يَقدُمها أحدٌ قبله إلّا أبو سلمة بن عبد الأسد، وزوجةُ عامر أولُ ظَعينةٍ قَدِمت المدينة مُهاجرة.

وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين يزيد بن المنذر[٢] الأنصاري، وشهد عامر بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع رسول الله ﷺ، وقدم مع عمر الجابية في سنة ست عشرة، وعقد عمر لواءه ودفعه إلى عامر.

قال ابن عبد البر[٣]: ويزيد بن المنذر الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عامر؛ شهد

---

(١) التاريخ الكبير ٦/ ٤٤٥ ، والمؤتلف والمختلف ١٦٦٢ ، وطبقات ابن سعد ٣/ ٣٥٩ .

(٢) في (خ): يزيد بن عبد المنذر، وسيرد كذلك، وهو خطأ.

(٣) في الاستيعاب (٢٧٢٨).

العقبة وبدراً، وهو من الطبقة الأولى من الأنصار.

ذكر وفاة عامر:

قال ابن سعد بإسناده عن يحيى بن سعيد قال: أخبرني عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قام أبي يصلي في بيته بالليل، وذلك حين نَشِب الناس في الطعن على عثمان، فصلى من الليل، ثم نام، فأُتي في المنام فقيل له: قم فاسأل الله أن يُعيذك من الفِتنة التي أعاذ منها صالحَ عباده، فقام فصلّى، ثم اشتكى فما أُخرج إلا جنازة.

قال ابن سعد: قال محمد بن عمر: كان موتُ عامر بن ربيعة بعد قتل عثمان بأيام، وكان قد لزم بيتَه فلم يَشعر الناس إلا بجنازته وقد أُخرج[١].

وقيل: إنه مات قبل قتلِ عثمان بأيام.

وقال ابن عبد البرّ: كان لعامر ولدان كلاهما يقال له عبد الله، وأمّهما ليلى بنت أبي حَثْمة، وكُنيةُ الأكبر أبو محمد، قُتل يوم الطائف شهيداً، وعبد الله الأصغر وُلد على عهد النبي ﷺ وتوفي رسول الله ﷺ وهو ابنُ خمس سنين، وله إدراك.

قال عبد الله: جاءنا رسول الله ﷺ في دارنا وأنا ألعب[٢].

أسند عامر بن ربيعة عن رسول الله ﷺ الحديث، فأخرج له أحمد في «المسند» أحد عشر حديثاً، وأُخرج عنه في «الصحيحين» حديثان متّفق عليهما.

وروى عامر عن أبي بكر وعمر، وروى عنه ابن عمر، وابنُه عبد الله بن عامر، وابنُ الزّبير عبد الله وغيرهم، وليس في الصحابة مَن اسمُه عامر بن ربيعة غيره، وذكره جدّي في «جامع المسانيد».

ومن مَسانيده؛ قال أحمد: حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن عاصم بن عبيد الله، عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه قال: رأيتُ رسول الله ﷺ ما لا أُحصي يَتَسَوَّك وهو صائم[٣].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٦٠.

(٢) الاستيعاب (١٤٤٩) و(١٤٥٠).

(٣) مسند أحمد (١٥٦٧٨)، وانظر في ترجمته الاستيعاب (١٨٢٢)، وتاريخ دمشق (عاصم ـ عايذ) ١١٢، والسير ٢/ ٣٣٣، والإصابة ٢/ ٢٤٩، والمنتظم ٥/ ٧٣.

وفيها توفي

عبد الله بن سُراقة

ابن المعتمر العَدَويّ، من الطبقة الثانية من الصحابة، ولم يشهد بدراً، وشهد أُحداً وما بعدها، وأمُه ابنةُ عبد الله بن عُمَير بن وهب الجُمحيّ.

روى عبد الله الحديث عن رسول الله ﷺ، وليس في الصحابة مَن اسمُه عبد الله بن سُراقة غيره[١].

وفيها توفي

عثمان بن عفّان رضي الله عنه

ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، وأمُّه أروى بنت كُرَيز ابن ربيعة بن حَبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ، وقد ذكرها ابن سعد في طبقات النساء[٢] وقال: وأمُّها أم حكيم، وهي البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، تزوَّجها عفان بن أبي العاص، فولدت له عثمان وآمنة، ثم تزوَّجها عُقبة بن أبي مُعَيط فوَلدت له الوليد وعمارة وخالداً وأمّ كلثوم وأم حكيم وهنداً.

أسلمت أروى وهاجرت إلى المدينة بعد ابنتها أمِّ كلثوم بنت عُقبة، وبايعت رسول الله ﷺ، ولم تزل بالمدينة حتى توفّيت في خلافة ابنها عثمان، فحمل عثمان سريرَها، وصلّى عليها، ودفنها بالبقيع، وقد ذكرنا مَن اسمها أروى في عمات رسول الله ﷺ.

وكان عثمان في الجاهلية يُكنى أبا عمرو، فلما وُلد له في الإسلام عبد الله من رُقَيَّة بنت رسول الله ﷺ اكتَنى به، وكنّاه المسلمون به، وعاش عبد الله ستَّ سنين، فنقره ديك في عينه فمات، وقد ذكرناه في سنة أربع من الهجرة.

ذكر عثمان رضي الله عنه:

من الطبقة الأولى من المهاجرين، و أحد العشرة المبَشَّرين بالجنّة، وثالث الخلفاء

---

(١) طبقات ابن سعد ٤/ ١٣٢ ، والاستيعاب (١٤٨٥)، والتبيين ٤٣٠ ، والإصابة ٢/ ٣١٥ .

(٢) طبقات ابن سعد ١٠/ ٢١٧ .

الراشدين، أسلم قديماً قبل دخول رسول الله ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهاجر إلى الحبشة الهجرتين ومعه زوجتُه رُقَيَّة بنتُ رسول الله ﷺ، ولم يشهد بدراً؛ لأن رسول الله ﷺ خلّفه على ابنته رقية يُمرّضها، وقيل: كان مريضاً بعلَّةِ الجُدَري، فضرب له رسول الله ﷺ بأجره وسهمه، وزوّجه أمَّ كلثوم أخت رقية؛ ولذلك سُمِّي ذا النُّورَين لجمعه بين بنتي رسول الله ﷺ، ولم يجمع قبلَه أحدٌ بين بنتي نبيٍّ غيره، وبايع عنه رسول الله ﷺ بيعةَ الرضوان بيده، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك.

وكان لَيِّن الجانب، حسنَ الخُلُق حَيِيَّ الطّرف، أحد حُفَّاظ القرآن على عهد رسول الله ﷺ، ونافع وابن عامر يقرآن على قراءته.

وذكره الموفق رحمه الله في «الأنساب» وأثنى عليه وقال: قيل للمهلَّب بن أبي صُفرة: لمَ قيل لعثمان ذي النُّورَين؟ فقال: لا نعلم أحداً أرخى ستراً على ابنتي نبيٍّ غيره، وقال رسول الله ﷺ: «لو كان لنا ثالثة لزوَّجناها عثمان»[(١)].

وهو أحدُ أصحاب الشورى الذين اختارهم عمر للخلافة، وقد ذكرنا إسلامَه فيما تقدّم، في السنة الرابعة والعشرين عند وِلايته، وبعضَ سيرته، وكان صوّاماً قوّاماً، وكان من أغنى الصحابة.

وقال الواقدي: وسبب غنائه أن أباه عفاناً وعبدَ المطَّلب وأبا مسعود الثقفي لما سلَّط الله على أبرهةَ الطيرَ الأبابيل؛ كانوا أول مَن نزل إلى خِيَم الحبشة، فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابِه شيئاً كثيراً، ودفنوها عن قريش، فكان ذلك سبباً لغنائهم، ومات عفان فأخذها عثمان.

وقال ابن عمر: كان عثمان يقوم الليل يَتلو القرآن، فنزل فيه قولُه تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ الآية [الزمر: ٩][(٢)]، وكان يُسمّى الوَقور لحيائه.

وقال أحمد بن حنبل بإسناده عن يحيى بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان جالساً كاشفاً عن فَخِذه، فاستأذن أبو بكر، فأذن له وهو على تلك الحال، ثم

(١) التبيين ١٧٩.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٥٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق (عثمان) ٢٢٤.

استأذن عمر، فأذن له وهو على تلك الحال، فاستأذن عثمان، فأرخى عليه ثيابَه، قالت: فقلت له في ذلك فقال: «ألا أستحي من رجلٍ تستحي منه ملائكةُ السماء»[١].

وقال أحمد بإسناده عن عثمان بن عبد الله بن مَوْهَب.

وقال البخاري: حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عثمان هو ابن مَوْهَب قال: جاء رجلٌ من أهل مصر يَحجُّ البيت، فرأى قوماً جُلوساً، فقال: مَن هؤلاء؟ قالوا: قريش، قال: فمَن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر، فقال: يا ابن عمر، إني سائلُك عن شيءٍ فحدِّثني، قال: اسأل، قال: هل تعلم أن عثمانَ فرَّ يوم أُحُد؟ قال: نعم، قال: هل تعلم أنه تَغيَّب عن بدرٍ فلم يَشهدها؟ قال: نعم، قال: فهل تعلم أنه تَغيّب عن بيعة الرِّضوان فلم يَشهدها؟ قال: نعم، قال: الله أكبر، فقال ابن عمر: تعالَ أُبَيِّنْ لك، أما فرارُه يوم أحد، فأَشهد [أن] الله عفا عنه وغفر له، وأما تَغَيُّبُه يوم بدر، فإنه كانت تحته ابنةُ رسول الله ﷺ وكانت مريضة، فقال له رسول الله ﷺ: «لك أجرُ مَن شهدها»، وضرب له بسَهمه، وأما تَغَيُّبه عن بيعة الرِّضوان، فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكة من عثمان لبَعَثه مكانه، وكانت بيعةُ الرضوان بعدما ذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ: «هذه يدي عن عثمان» فبايع عنه، وضرب باليُمنى على اليُسرى، وقال له ابن عمر: [اذهبْ] بها الآن معك[٢].

وقد أخرجه الحميدي في أفراد البخاري، وفيه: ثم قال ابن عمر للرجل: لعلّ يَسوؤك ذلك؟ قال: نعم، قال: فأرغم الله أنفَك، فانطلق فاجْهَد جَهدك، وسأله عن علي فذكر مَحاسِنَ عملِه[٣].

وحدثنا جدي بإسناده عن عطية، عن أبي سعيد الخدري قال: رأيتُ رسول الله ﷺ من أول الليل إلى أن طلع الفجر رافعاً يديه يدعو لعثمان يقول: «اللهمَّ عثمان، رضيتُ عنه فارضَ عنه»[٤].

---

(١) مسند أحمد (٥١٤) و(٢٥٢١٦).

(٢) مسند أحمد (٥٧٧٢)، وصحيح البخاري (٣٦٩٨).

(٣) الجمع بين الصحيحين (١٤٨٣).

(٤) صفة الصفوة ١/ ٢٩٨ ، وأخرجه ابن عساكر ٤٧ـ٤٩ .

وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني أبو موسى العَنَزي بإسناده، عن عبد الرحمن بن خَبّاب السّلَمي قال: خطب النبيُّ ﷺ فحثَّ على جيش العُسْرَة، فقال عثمان: عليَّ مئةٌ من الإبِل، أو مئةُ بعير بأحلاسها وأقتابها، ثم حثَّ، فقال عثمان: عليَّ مئةٌ أخرى بأَحلاسِها وأقتابها، ثم نزل مِرقاةً من المِنبر، ثم حثَّ فقال عثمان: عليَّ مئةٌ أخرى بأحلاسها وأقتابها، قال: فرأيتُ رسول الله ﷺ يقول بيده يُحرِّكُها: «ما على عثمان ما عَمِل بعد هذا»[١].

وقد ذكرنا طرفاً من هذا في غَزاة تبوك، وأنه جَهَّز جيشَ العُسْرة بخمس مئةِ بعير، وجاء بألف دينار فصبَّها في حِجر رسول الله ﷺ.

وروى أبو نعيم بإسناده إلى رُهيمة قالت: كان عثمان يصوم الدهر، ويقوم الليل إلا هَجعةً في أوَّله[٢].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن الحسن ـ وسُئل عن القَيلولة في المسجد ـ فقال: رأيتُ عُثمان يَقيل في المسجد وهو يومئذٍ خليفة، ويقوم وأثرُ الحَصى بجَنبه، قال: فيقولون: هذا أميرُ المؤمنين[٣].

وقال الحسن: رأيتُ عثمان نائماً في المسجد ورداؤه تحت رأسه، فيجيءُ الرَّجل فيَجلس إليه، ثم يجيءُ الرجل فيجلُس إليه، فيجلس كأنه أحدُهم[٤].

وقال عبد الله بن أحمد بإسناده عن شُرَحبيل بن مُسلم: أن عثمان كان يُطعم الناسَ بطعام الإمارة، ويَدخل بيتَه فيأكل الخلَّ والزيت[٥].

وروى ابن أبي الدنيا، عن عبد الله بن المبارك، عن الزّبير بن عبد الله قال: حدثتني جدَّتي: أن عثمان كان لا يُوقظ أحداً من أهله في الليل؛ إلا أن يَجده يقظاناً، فيدعوه

(١) مسند أحمد (١٦٦٩٦) وهو من زيادات ابنه عبد الله.
(٢) الحلية ١/ ٥٦ ، وأخرجه أحمد في الزهد ١٦١ .
(٣) الزهد ١٥٨ ، وأخرجه أبو نعيم في الحلية ١/ ٦٠ ، وابن عساكر ٢١٩ .
(٤) أخرجه ابن عساكر (عثمان) ٢١٨ .
(٥) الزهد ١٦٠ ، وأخرجه أبو نعيم ١/ ٦٠ .

فيُناوله وُضوءه، وكان يصوم الدَّهر[١].

وقال ابن سعد عن الواقدي أيضاً، عن عبد الله بن محمد، عن ثابت بن عجلان، عن سُليم أبي عامر قال: رأيتُ على عثمان بُرداً يَمانياً ثمنَ مئة دِرْهم أو مئتي درهم[٢].

وقد ذَكَرَ أن أبا بكر رضي الله عنه لما أملى على عثمان وصيَّته؛ أُغمي عليه عند موته، ثم أفاق فقال لعثمان: مَن كتبتَ؟ قال: عمر، قال: والله لو كتبتَ لنفسك كنتَ لها أهلاً[٣].

وقال البخاري بإسناده عن ابن عمر قال: كنا نُخيِّر بين الناس في زمان رسول الله ﷺ، فنُخَيِّرُ أبا بكر، ثم عمر، ثم عثمان. انفرد بإخراجه البخاري[٤].

ذكر لباسه:

قال ابن سعد بإسناده عن شيخ من الحاطِبيّين قال: رأيتُ على عثمان قميصاً قُوهِيًّاً على المنبر[٥]. القُوهيّ: الغليظُ من الثّياب.

وقال هشام عن أبيه: لما وَلي عثمان الخلافة، خطب وعليه ثوبٌ قيمتُه خمسة دراهم. وقد ذكرنا طرفاً من لباسه، وشدِّه أسنانَه بالذهب[٦].

ذكر طرف من أخبار عثمان رضي الله عنه:

حكى سيف بن عمر، عن عُمارة بن القعقاع، عن الحسن البصري قال: كان عمر ابن الخطاب قد حَجَر على أعلام قريش من المهاجرين الخروج إلى البلدان إلا بإذنٍ وأَجَل، فشَكَوه، فقام خطيباً فقال: أما بعد، فإني قد سَنَنْتُ الإسلام سَنَّ البَعير، يبدأ فيكون جَذَعاً، ثم ثَنِيّاً، ثم رَباعيّاً، ثم بازِلاً، فهل يَنتظر البازلُ غيرَ النُّقصان؟ ألا وإن الإسلام قد بَزَل، ألا وإن قريشاً يريدون أن يَتَّخِذوا مالَ الله مَعوناتٍ دون عباده، أما

(١) الزهد لابن المبارك ٤٣٨، والزهد لأحمد ١٥٧ (من زيادات ابنه عبد الله)، وتاريخ دمشق (عثمان) ٢٢٨ـ٢٢٩.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٤.

(٤) في صحيحه (٣٦٥٥).

(٥) طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤.

(٦) في سنة أربع وعشرين.

وابنُ الخطاب حيٌّ فلا، ألا وإني آخذٌ بحُجَز قُريش أن يتهافتوا في النار.

وقال سيف فيما رواه عن محمد وطلحة: فلما قام عثمان لم يَأْخُذهم بما كان يَأْخُذهم به عمر، فانساحوا في البلاد، فلما رَأَوْها ورَأوا سَعَةَ البلاد ورآهم الناس، انقطع [إليهم] مَن لم يكن له طَولٌ ولا مَزِيَّة في الإسلام، فصاروا أوزاعاً، فكان ذلك أوّل وَهْنٍ دخل في الإسلام، وأوّل فتنةٍ كانت في العامّة.

وحكى سيف، عن عمرو، عن الشعبي قال: لم يَمُتْ عمر حتى مَلَّته قريش، وكان قد حَصَرهم في المدينة وقال: أخوف ما [أخافُ] على هذه الأمة الانتشار في البلاد، فلما وَلي عثمان خَلّى سبيلَهم، فانفسحوا في البلاد، وانقطع إليهم الناس، فكان أحبَّ إليهم من عمر، فلم تمض سنةٌ من إمارة عثمان حتى اتَّخذ رجالٌ من قريش أموالاً في الأمصار، وانقطع إليهم الناس، وثبتوا على الأمر الأوّل سبعَ سنين، كلّ يوم يُحبُّون أن يَليَ صاحبُهم، ثم أسلم ابنُ السَّوداء، وتكلَّم وقد فاضَتِ الدّنيا، وطلعت الأحداثُ على يديه، فاستطالوا عُمْرَ عثمان.

وقال سيف بإسناده: أوَّلُ مُنكَرٍ ظهر بالمدينة حين فاضت الدنيا طَيرانُ الحمام، والرَّميُ بالجُلاهِقات[1]، فاستعمل عثمان رجلاً من بني لَيث في سنة ثمانٍ، فقصَّ الحمام وكسر الجُلاهِقات، وكَثُرت الأحداثُ كشرب النّبيذ وغيره، فكان عثمان يُسَيِّر من المدينة مَن أحدث حَدَثاً، فقال الناس: ما أحدثَ التَّسييرَ إلا [أن] رسول الله ﷺ سَيَّر الحكم بن أبي العاص، وبلغ عثمان فصَعِد المنبر وقال: يا أهل المدينة، أنتم أَصلُ الإسلام، وإنما يَفسدُ الناسُ بفسادكم، ويَصلحون بصَلاحكم، والله لا يَبلغني عن أحدٍ منكم أنه أحدث حَدَثاً إلا سَيَّرتُه، وأما الحكم فإنه كان مَكيّاً، فسيَّره رسول الله ﷺ إلى الطائف، [ثم ردَّه] إلى بلده، وقد سَيّر الخلفاءُ بعده.

قال سيف، عن عبد الله بن سعيد بن ثابت ويحيى بن سعيد قالا: سُئل سعيد بن المسيّب فقيل له: ما دعا محمد بن أبي حذيفة إلى الخروج على عثمان، وقد كان يتيماً في حِجْره، وكان عثمان واليَ [أيتام] أهل بيته، ومُحتمِلَ كَلِّهم؟! فقال: سأل عثمانَ

(١) الطين الأملس المدوّر، والبندق الذي يرمى به، وقوس البندق.

العملَ حين وَلي فقال: يا بُنيّ، لو كنتَ رِضاً لاستعنتُ بك ولكنك لستَ هناك، قال: فَأْذن لي أن أخرجَ فأطلُبَ ما يُقَوِّيني، فقال له: اذهبْ حيث شِئتَ، فذهب إلى مِصر، فكان يُحَرِّضُ عليه لأنه منعه الإمارة.

وقال سيف، عن مُبَشِّر: سألتُ سالم بن عبد الله: ما دعا محمدَ بن أبي بكر إلى الخروج على عثمان؟ قال: الطّمعُ، إنه كان من الإسلام بالمكان الذي هو به، فأغراه قوم فطَمِع، وكانت له دالَّة فلَزِمه حقٌّ، فأخذ عثمان الحدَّ من ظهره، فاجتمع هذا إلى هذا، فصار مُذمَّماً بعد أن كان محمداً[1]. وسنذكرهما فيما بعد إن شاء الله تعالى.

ذكر اجتماع المصريين والبصريين والكوفيين وغيرِهم على قتل عثمان رضي الله عنه، وحَصرهم في داره، ونزولهم بذي خُشُب وذي المروة ونحو ذلك

فروى أربابُ السِّيَر منهم هشام والواقدي وسيف وغيرهم، فروى سيف بن عُمر، عن يزيد الفَقْعَسي قال: كان عبد الله بن سبأ يهودياً من أهل صنعاء، وأمُّه يهودية سوداء، أسلم في أول خلافة عثمان، وقيل في خلافة عمر، وكان قَصدُه بَوارَ الإسلام، فكان يَنتقلُ في البُلدان يحاول الفِتنة، فطاف الحجاز والشام والعراق، فأخرجوه، فلم يتأتّى له ما يُريد، وعُرف بالشَرّ في هذه الأمصار، فلم يَسَعْه فيها مُقام، وكلما دخل مِصراً نَفَوه منها، فدخل مِصر، وطاف في كُوَرها، وأظهر الأمرَ بالمعروف، وتكلَّم في الرَّجْعَة، وقَرَّرها في قلوب المصريين، وكان يقول: العَجبُ ممن يَزعُم أن عيسى يَرجع إلى الدنيا ويُكذّب برجعة محمد ﷺ، وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾[القصص: ٨٥] فمحمد أحقُّ بالرُّجوع من عيسى، فقرَّر الرَّجعة في قلوبهم، وهو مع هذا يَغمز عثمان.

ثم شرع في تقرير الوَصيّة فقال: قد كان ألفُ نبيّ، ولكلِّ نبيٍّ وَصيٌّ، وعليٌّ وصيُّ محمد ﷺ، ومحمد خاتم النبيِّيْن، فعليٌّ خاتم الوصيِّين، ثم قال: ومَن أظلَمُ ممّن أبطل وصيَّةَ رسول الله ﷺ، ووَثَب على وَصيِّه فابتَزَّه حقَّه، وحكم في الأمة بغير حقّ، ثم إن عثمان أخذ الخلافةَ بغير حقّ، ووصيُّ رسول الله ﷺ أوْلى، وقد غيَّر عثمان وبَدّلَ ما كان

(١) الأخبار السالفة كلها في الطبري ٤/ ٣٩٦ـ٤٠٠ .

عليه رسول الله ﷺ والشيخان بعده، فانهضوا في الأمر فحرِّكوه، وابدؤوا بالطَّعن على أمرائكم، وأظهِروا الأمرَ بالمعروف، والنّهيَ عن المنكر، تَستميلوا الناس، وبثّ الدُّعاة.

وكاتبَ الأمصارَ ممَّن كان قد استَفسدَهم فأجابوه، ودَعَوا في السّرِّ إلى ما دعا إليه، فأجابهم الناس، فقيل لعثمان: إن الأمصارَ قد فَسَدت عليك، وأخبروه الخبر، فقال: والله ما سمعتُ من هذا شيئاً، قالوا: بلى، فأرسِلْ رجالاً يَكشفوا لك الأمر، ويَرجعوا إليك بالأخبار، ويكونوا ممّن تَثقُ بهم.

فبعث بمحمد بن مَسلَمة إلى الكوفة، وأسامة بن زيد إلى البصرة، وعبد الله بن عمر إلى الشام، وعمار بن ياسر إلى مصر، فرجعوا جميعاً إلّا عمار بن ياسر، فإنه أقام بمصر، ولما رجع الرُّسُل إلى عثمان استَبطؤوا عمار بن ياسر، فبينما هم كذلك إذ وَرد كتابُ عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح: إن عماراً قد استمالَه قومٌ بمصر، وقد انقطعوا إليه، منهم: عبد الله بن السوداء، وخالد بن مُلْجَم، وسُودان بن حُمران وكنانة بن بِشْر.

وروى الواقدي عن أشياخه، دخل حديث بعضهم في حديث بعض، قال: كتب عثمان إلى أهل الأمصار: أما بعد، فقد رُفع إليّ أن أقواماً يُشَنّعون عليَّ وعلى أمرائي؛ بغَصْب الأموال، وظُلم العباد، وفِعل المنكرات، فمن ادَّعى شيئاً من ذلك فلْيُوافِني بالموسم، فليأخُذْ بحقِّه مني ومن عُمّالي، فإنه لا يُرفع عليّ ولا عليهم شيءٌ من ذلك إلا رَددتُه، وليس لي ولعُمَّالي حقٌّ قبل الرَّعيَّة، فإما أن أدفعَ إليهم ذلك، أو تَتصدّقوا فإن الله يَجزي المتصدِّقين. فلما قُرىء كتابُه على أهل الأمصار بَكَوا ودعوا له وقالوا: إن الأمّة لتَتَمخَّضُ بالشرّ.

ثم كتب إلى عُمَّاله فقدِموا عليه: عبد الله بن عامر ومعاوية وعبد الله بن سعد، وأدخلَ معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمرو بن العاص، فقال: ويحكم، ما هذه الشِّكايات والإذاعات، والله إني لخائف أن تكونوا مَصدوقاً عليكم، وما يُعصَب هذا إلا بي، فقالوا: قد رجع إليك الرُّسُل الذين بعثتَهم إلى الأمصار بخلاف ما أُذيع وأُشيع، وما هي إلا شَناعة.

قال: فأشيروا عليّ، فقال له سعيد بن العاص: هذا أمر مصنوع، يُعمَل في السّرّ، ثم يُلقى به غيرُ أهل المعرفة، فيُخبرون به، فيتحدَّثُ به الناسُ في مجالسهم، قال: فما

الحيلة؟ قال: طَلبُ مَن يَفعلُ ذلك، وقتلُ مَن خرج من عنده.

وقال له عبد الله بن سعد: خُذْ من الناس الذي عليهم؛ فإنه أنفعُ لك من أن لا تأخُذَ منهم[1].

وقال له معاوية: لا يأتيك من الشام إلا ما تُريد، قال: فما ترى؟ قال: حُسْنُ الأدب.

قال: يا عمرو، فما ترى؟

قال: إنك قد وَلَّيتَهم، وتراخيتَ عنهم، وزدتَهم على ما كان يَصنع عمر، فأرى أن تُديمَ طريقةَ صاحبَيْك، فشِدَّةٌ في موضع الشِّدَّة، ولينٌ في مَوضع اللين.

فقال عثمان: قد سمعتُ ما أشرتُم به، ولكلِّ أمرٍ بابٌ يُؤتى منه، وهذا الأمر الذي يُخافُ منه كائنٌ لا مَحالة، وإن رَحَى الفتنةِ لدائرة، فطُوبى لعثمان إن مات ولم يُحرِّكها.

وحكى الطبري عن موسى بن طلحة بن عبيد الله قال: أرسل عثمان إلى طلحة يَدعوه، قال موسى: فخرجت معه، فدخل على عثمان، وإذا عليّ وسعد والزبير ومعاوية، فحمد معاوية [الله]، وأثنى عليه بما هو أهلُه، ثم قال: أنتم أصحابُ رسول الله ﷺ، وخِيرتُه في الأرض وولاةُ أمر هذه الأمة، لا يَطمع في ذلك أحدٌ غيركم، اخترتُم صاحبَكم من غير غَلَبةٍ ولا طَمَع، وقد كبرت سِنُّه، وولَّى عُمرُه، ولو انتظرتم به الهَرَم كان قريباً، مع أني أرجو أن يكون أكرمَ على الله من أن يَبلُغَ به ذلك، وما عِبتُم عليه من شيءٍ فهذه يدي لكم به، ولا تُطمعوا الناسَ في أمركم، فوالله لئن طَمِعوا فيها؛ لا رأيتُم منها إلا إدباراً.

فقال علي عليه السلام: ومالك وهذا الأمر لا أُمَّ لك؟! فقال معاوية: دعْ عنك أمِّي، فليست بشرِّ أُمَّهاتكم؛ قد أسلمت وبايعت النبي ﷺ، وأجبني عما أقولُ لك.

فقال عثمان: صدق ابنُ أخي ـ يعني معاوية ـ ثم قال عثمان: إني أُخبركم عني وعمّا وَليتُ: إن صاحبيّ اللذين كانا قبلي ظلما أنفُسَهما ومَن كان بسبيلٍ منهما احتساباً، وإن رسول الله ﷺ كان يُعطي قرابتَه، وأنا في رَهْطٍ وعَيْلَةٍ وفقرٍ وقلَّةِ معاش، فبسطتُ يدي

(١) في الطبري ٤/ ٣٤٢: خذ من الناس الذي عليهم إذا أعطيتَهم الذي لهم، فإنه خير من أن تدعهم.

في شيءٍ من ذلك؛ لمكاني مما أقومُ به فيه، ورأيتُ أن ذلك لي، فإن رأيتُم أن ذلك خطأ فردُّوه، فإن أمري لأمركم تَبَع.

فقالوا: أعطيتَ عبد الله بن خالد بن أَسِيد خمسين ألفاً، ومروان خمسة عشر ألفاً، فقال: نَردُّ ذلك، فرضوا وانصرفوا راضِين.

وكان معاوية قد قال لعثمان: اخرجْ معي إلى الشام، فإن أهل الشام لم يُغيِّروا ولم يُبدِّلوا، فقال: لا أختار على جِوار رسول الله ﷺ شيئاً، ولو كان فيه قَطعُ عُنُقي، قال: فأبعثُ إليك جيشاً يُقيم عندك، قال: لا أُقتِّر الأرزاقَ على أهل دار الهجرة، فقال: والله لتُغتالَنَّ ولتُقتلَنّ، فقال: حسبي الله ونعم الوكيل، ومضى معاويةُ إلى الشام.

وقال هشام عن أبيه: أولُ مَن خلع عثمان بالكوفة عَمرو بن زُرارة بن قيس والكُمَيل ابن زياد النَّخعيَّان وقالا: إن عثمان قد تَرك الحقَّ وهو يَعرفه، وولّى شراركم على صُلحائكم، واستأثر بالأموال، وقد خَلَعناه وبايَعنا عليًّا عليه السلام.

قال: وأوّلُ مَن خلعه بالمدينة عمار بن ياسر، نزع عِمامته وقال: اشهدوا أني قد خلعتُ عثمان كما خلعتُ عِمامتي هذه، ورمى بها إلى الأرض، فقال له سعد بن أبي وقاص: إنا لله، حين كَبرَ سِنُّك، ورقَّ عظمُك خلعتَ رِبقةَ الإسلام من عُنقك، فقال عمار: مه إنه قد بدَّل وغَيَّر.

وروى سيف عن مُبشِّر بن الفُضَيل وسهل بن يوسف، عن محمد بن سعد بن أبي وقاص بمعناه، وقال: قدم عمار من مصر وأبي مريض، فبلغه فبعثني أدعوه، فلما دخل على سعد قال له: ويحك يا أبا اليقظان، إن كنتَ فينا لمن أهل الخير، فما الذي بلغني من سعيك في إفسادٍ بين المسلمين، والتَّأليب على أمير المؤمنين، فأهوى عمار إلى عمامته فنزعها، وذكره، فبكى سعد وقال: يا بُنيّ، مَن يَأمَنُ الفتنة، لا يَخرُجَنَّ منك ما سمعتَ منه.

وروى سيف عن أشياخه والبلاذري وهشام قالوا: لما رأى الناسُ ما صنع عثمان كتبوا من المدينة إلى الآفاق: هَلُمّوا إلى الجهاد الأكبر، فاتّفق أهلُ الأمصار على المسير إلى عثمان، وتواعدوا أن يُوافوا المدينة في شوال أو في رجب هذه السَّنة، فخرج من مصر أربع رِفاق على أربعة أمراء: عبد الرحمن بن عُدَيس البَلَوي على رُبع،

وأبو عمرو بن بديل بن ورقاء الخزاعي على رُبع، وكِنانة بن بِشْر التُّجيبي على رُبع، وسُودان بن حُمران السَّكوني على رُبع.

واختلفوا في عددهم؛ فقال سيف: المقلِّل يقول: كانوا ست مئة، والمكثر يقول: ألف، وقال هشام: كانوا أربع مئة، وقال الواقدي: كانوا خمس مئة، وقيل: سبع مئة، قال: وأميرُهم الغافقيّ بن حَرب العَكِّيّ، وكان فيهم ابنُ السَّوداء، وأظهروا أنهم يريدون الحجّ أو العُمرة، فإن كانوا خرجوا في رجب أظهروا العُمرة، وإن كانوا خرجوا في شوال فالحج، والظاهر أنهم خرجوا في شوال.

قالوا: وخرج أهلُ الكوفة [في] أربع رِفاق، على عدد المصريين، وأُمراؤهم: الأشتر النَّخَعي، وزيد بن صُوحان العبدي، وزياد بن النَّضر الحارثي، وعبد الله بن الأصمّ أحد بني عامر بن صعصعة، وأميرُهم عمرو بن الأصم.

وخرج أهل البصرة [في] أربع رِفاق، وعددُهم على عدد أهل الكوفة، على كل رُبع أمير: حُكَيم بن جَبلة العبدي، وذَريح بن عَبّاد العبدي، وبشر بن شُريح الحُطَم القيسي، وسدوس بن عُبيس الشَّنِّي، وقيل: وابن المحرّش بن عبد عمرو الحنفي، وأميرهم جميعاً حُرقوص بن زهير السعدي، فأما أهل مصر فإنهم كانوا يُريدون علياً، وأما أهل الكوفة فهواهم مع الزبير، وأما أهل البصرة فيريدون طلحة.

وكتب عبد الله بن سعد إلى عثمان يُخبره بخروجهم، فقال عثمان: والله ما خرجوا إلا طلباً للفتنة، ولقد طال عُمري على الناس، ولئن فارقتُهم ليَتمنّون يوماً من أيامي.

ثم دخل عثمان على علي في منزله وقال: يا ابن عمّ، إن لي قرابةً قريبة، ورَحِماً ماسّة، وحقاً عظيماً، وهؤلاء قد عزموا على قتلي، وأنا أعلم أن لك عند الناس قدراً، وأنهم يَسمعون منك فاركب إليهم فرُدَّهم عني، وأنا أصيرُ إلى ما تُريدون، ولا أخرج عن أمرك، وكانوا بذي خُشُب، فركب عليٌّ ومعه سعد، وسعيد بن العاص، وزيد بن ثابت، ومحمد بن مسلمة، وحسان بن ثابت، وعبد الرحمن بن عَتّاب بن أسيد وجماعة من الصحابة، فالتقاهم ووَبَّخهم، وعنَّفهم في أمر عثمان، وضَمِن لهم ما أرادوا، فأظهروا أنهم راجعون إلى مصر، وجاءت الجموع فعادوا، فنزل بعضُهم ذا خُشُب، وبعضُهم الأعْوَص، وعامَّتُهم بذي المَرْوة.

قال البلاذري: وَرَد أهلُ مصر المدينة قبل ورود أهل العراق، فأتوا دار عثمان، ووثب معهم رجالٌ من الصحابة؛ منهم: عمار بن ياسر، ورِفاعة بن رافع الأنصاري وكان بدرياً، والحجّاج بن عمرو بن غَزيّة وكان صحابياً، وعامر بن بُكَير الكِناني، فحصروه في داره، وهذا يُسمّى الحصار الأول.

قال: ولم يُنكر أحدٌ من الصحابة عليهم، بل كانوا يأمرونهم بجهاد عثمان؛ إلّا ثلاثة: زيد بن ثابت، أعطاه عثمان مئة ألف درهم، وحسان بن ثابت، وأبو أُسَيد الساعدي، وهذه روايات الواقدي والبلاذري[١].

رجع الحديث إلى سيف قال: فسار القوم من مصر والعراق، حتى إذا كانوا من المدينة على ثلاثة أيام تقدَّم ناسٌ من أهل البصرة فنزلوا ذا خُشُب، وناس من أهل الكوفة فنزلوا الأعوص، وناس من أهل مصر فنزلوا بذي المروة، وهم يُظهرون أنهم يَأمرون بالمعروف، ويسألون عثمان عن أشياء، ومشى فيما بين أهل مصر والعراق زياد ابن النَّضْر وعبد الله بن الأصم وقالا: لا تَعجلوا حتى نَدخل المدينة ونَرتاد؛ فإنه قد بَلَغنا أنهم قد عسكروا لنا، فإن كان ذلك صحيحاً فقد خافوا واستَحلُّوا قتالَنا، وإن كان باطلاً لم يخافوا منا، فقالوا: اذهبا.

فدخل الرجلان المدينة، فأتيا أزواجَ النبي ﷺ وطلحةَ والزبير وعلياً وقالا: إنما جئنا نَؤمُّ هذا البيت، ونستعفي هذا الرجل من بعض عُمّالنا، ما جئنا إلا لهذا، واستأذنوهم في الدُّخول، فأبوا عليهما، فرجعا إلى إخوانهم.

ثم أتى نَفَرٌ من أهل مصر علياً، ونفرٌ من أهل الكوفة الزبير، ونفرٌ من أهل البصرة طلحة، وكلُّ طائفةٍ تقول: إن بايعنا صاحبنا[٢]، وإلّا قاتلناهم وفرَّقنا جماعتَهم.

قال سيف: فأتَوا علياً وهو في السُّوق عند أحجار الزيت، مُتقلِّداً سيفَه؛ وقد سَرَّح الحسن إلى عثمان، فالحسن جالسٌ عند عثمان، وعليّ عند أحجار الزَّيت، فسلَّم المصريون على علي، وعرضوا له، فصاح بهم وطرَدَهم وقال: لقد علم الصالحون أن

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١٨٠ـ١٨١ .

(٢) في الطبري ٤/ ٣٥٠ : إن بايعوا صاحبنا.

جيشَ ذي المروة وذي خُشُب والأَعْوص مَلعون على لسان محمد ﷺ، فارجعوا لا صَحِبكم الله، قالوا: نعم وانصرفوا على ذلك.

وأتى البصريون طلحة، وقد أرسل ابنه محمداً على عثمان، فعرضوا له، فصاح بهم، وقال لهم مثلَ ما قال علي، وأتوا الزبير وقد سرّح ابنه عبد الله إلى عثمان، فردّ عليهم كذلك، فانصرفوا إلى عساكرهم مُظهرين الرجوع إلى أمصارهم، حتى تَفرَّق أهل المدينة، ويَكُرُّوا، فتفرَّق الناس، فلم يَشعروا إلا بالتّكبير في جوانب المدينة، فأحاطوا بعثمان والمسجد، ونادى مُناديهم: مَن كفَّ يدَه فهو آمن.

وصلّى عثمان بالناس أياماً، ولزم الناس بيوتَهم، وجاءهم علي فقال: ما رَدَّكم بعد ذهابكم؟ فقالوا: وَجْدنا مع بريدٍ كتاباً بقتلنا، وقال البصريون لطلحة مثل ذلك، والكوفيون للزبير كذلك، قال: فقالوا: لا حاجةَ لنا في هذا الرَّجل، فليَعْتَزِلنا، وثبتوا على ذلك، وعثمان مع هذا يُصلّي بهم، ويَغشى عثمان من شاء منهم، وهم أحقرُ في عينه من التُّراب.

وكتب عثمان إلى عماله يَستَمدُّهم ويقول: قد أغار الأعداء علينا في جِوار رسول الله ﷺ ودارِ الهجرة، وتحزَّبوا كما تَحزَّبت الأحزاب، فالوَحا الوحا، فبعث معاوية حَبيبَ ابن مَسلَمة الفِهريّ، وبعث ابن أبي سَرْح معاوية بن حُدَيْج السَّكوني، وبعث أبو موسى من الكوفة القعقاع بن عمرو، فساروا نحو المدينة.

وذكر هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: لما رأى عثمان ما قد نزل به ومَسيرَ الناس لقتله، كتب إلى معاوية: إن أهلَ المدينة قد كفروا وخلَعوا الطاعة، فابعث إليَّ مِن قِبلك من أهل الشام من المقاتِله على كلِّ صَعْبٍ وذَلول.

فلما وَقف معاوية على كتابه تربّص عليه، وكره مُخالفةَ أصحاب رسول الله ﷺ؛ وقد علم اجتماعهم عليه، فلما أبطأ جوابُه كتب إلى يزيد بن أسد والي أهل الشام يَستنفرهم، ويُعظّم حَقَّه عليهم، ويذكر ما يَجب من طاعته، ويقول في آخر كتابه: فإن كان عندكم غِياث فالعَجَل العَجَل، فنفر يزيد في أهل الشام.

وكتب عثمان إلى ابن عامر بالبصرة مثل ذلك، فقرأ ابن عامر كتابَه على أهل البصرة، فأجابوا إلى قتال مَن قصد عثمان، وأول مَن تكلَّم يومئذ مُجاشع بن مسعود

السُّلمي، فقدَّمه على الناس وساروا.

فأما يزيد بن أَسَد فلما وصل وادي القُرى بلغه قتل عثمان فرجع، وأما مُجاشع فلما وصل إلى الرَّبَذَة، ونزلتْ مُقدّمته عند صِرار، أتاه قَتْلُ عثمان فرجع.

وكان جماعةٌ من الصّحابة والتابعين يُحرِّضون الناس على نُصرة عثمان والذَّبِّ عنه، منهم بالكوفة: عُقبة بن عامر، وعبد الله بن أبي أوفى، وحَنظلة بن الربيع التميمي، في خلق من الصحابة، ومن التابعين أصحاب عبد الله بن مسعود: مسروق بن الأجدَع، والأسود بن يزيد، وشُريح القاضي وغيرهم، وكانوا يمشون على المجالس ويقولون: انهضوا لنَصْر خليفتكم وعصمةِ أمركم، وبالبصرة عمران بن الحصين وأنس بن مالك وأمثالهما من الصحابة، ومن التابعين: كعب بن سُور وهَرِم بن حَيَّان العبدي وأشباههما، وبالشام عبادة بن الصامت وأبو الدرداء وغيرهما، ومن التابعين أيضاً أبو مسلم الخولاني وعبد الرحمن بن غَنْم وغيرهما، وبمصر خارجة وأمثاله.

وقال ابن سعد بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: لما نزل المصريون بذي خُشُب دعا عثمان محمد بن مَسلمة وقال: اذهب إليهم فاردُدْهم عني وأعطهم الرِّضى، وأخبرهم أني فاعلٌ وفاعلٌ بالأمور التي طَلبوا، ونازعٌ عن كذا وكذا للأمور التي تكلَّموا فيها، فركب محمد بن مسلمة إليهم إلى ذي خُشُب، وأرسل معه عثمان خمسين فارساً من الأنصار، وقال جابر: أنا فيهم.

وكان رؤساؤهم أربعة: عبد الرحمن بن عُدَيْس البَلَوي، وسُودان بن حُمْران المرادي، وابن البَيَّاع، وعمرو بن الحَمِق الخُزاعي، وقد كان الاسم غلب عليهم، حتى كان يقال: جيشُ ابنِ الحَمِق.

فأتاهم محمد بن مسلمة فقال: إن أمير المؤمنين يقول كذا وكذا، وأخبرهم بقوله، فلم يزل بهم حتى رجعوا، فلما كانوا بالبُوَيْب رَأَوا جملاً عليه مِيسَمُ الصَّدَقة، فأخذوه، فإذا غلامٌ لعثمان، فأخذوا مَتاعَه ففتَّشوه، فوجدوا فيه قَصَبةً من رَصاص، فيها كتاب في جَوفِ الإداوة في الماء: إلى عبد الله بن سعد أن افعل بفلان كذا، وبفلان كذا وكذا، من القوم الذين شرعوا في عثمان، فرجع القوم ثانيةً حتى نزلوا بذي خُشُب، فأرسل عثمان إلى محمد بن مَسلمة أن: اخرُج فاردُدْهم عني، قال محمد: لا أكذب

في سنةٍ مَرَّتين ولم يَخرُج، قال: فقدموا حتى حصروا عثمان.

وروى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه: أن عثمان أنكر أن يكون كتب الكتاب، أو أرسل ذلك الرسول، وقال: فُعل ذلك دوني[١].

وقال محمد بن السائب الكلبي، وروى الطبري طرفاً من ذلك، عن أشياخه قالوا: لما صار القوم بظاهر المدينة خرج إليهم عثمان بنفسه، وكره أن يدخلوا عليه المدينة، فأتاهم فسلَّم عليهم، فدَعَوا بالمصحف فقالوا: افتح السابعة[٢] ـ يعنون سورة يونس، وكانوا يُسمّونها بذلك ـ وقالوا: اقرأ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا﴾ فلما قرأها ووصل إلى قوله ﴿أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ﴾[٥٩] قالوا: قف، فوقف، فقالوا: أرأيتَ ما حَميتَ من الحِمى، وما فعلتَ وفعلتَ، وعَدُّوا أفعالَه، منها: إتمامُه الصلاةَ بمنى، وردُّ عمِّه الحكم بن أبي العاص إلى المدينة، واستعمالُه الأحداث من بني أمية، وإعطاؤه مروان خُمس إفريقية، وإحراقُه المصاحف، ونفيُه أبا ذرّ وابنَ مسعود وعامر بنَ عبد قيس، وضربُه لعمار وابن مسعود، وصعودُه إلى مكان رسول الله ونحو ذلك ـ ثم قالوا: آلله أذِن لك في هذا أم على الله تفتري؟! فاعتذر إليهم، واستغفر الله، وأخذ رؤساءهم، ودخل المدينة فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال:

والله ما رأيتُ وفداً خيراً من وَفدنا هؤلاء، أما كوني صليتُ بمنى أربعاً؛ فإنه كان لي أهلٌ بمكة، وأما كوني حميتُ الحِمى؛ فقد حماه عمر قبلي، وأما كوني رددتُ عَمِّي الحكم؛ فقد كان رسول الله ﷺ وَعَدني بردِّه في مرضه الذي تُوفّي فيه، فشهدتُ عند أبي بكر فقال: إنك شاهد واحد، ولا تُقبل شهادةُ الواحد، ثم قال لي عمر كذلك، فلما صار الأمر إليّ قضيتُ فيه بعلمي، ولي أن أفعل ذلك.

وقولهم: استعملتُ الأحداث، فقد استعمل رسول الله ﷺ عَتّاب بن أَسيد على مكة وهو ابن عشرين سنة، واستعمل زيد بن حارثة وابنه أسامة وهما صبيان، وأعطيت

(١) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٢ ـ٦٣ .

(٢) وكذا في تاريخ دمشق (عثمان) ٣٢٧ ، وفي الطبري ٤/ ٣٥٤ : التاسعة.

مروان الخمس وإنما هو من مالي، فلما كرهوا ذلك رددتُه.

وأما تحريق المصاحف فلأنّي نسختُ مصحفاً واحداً، وخِفتُ اختلافَ الناس في الزيادة والنقصان، فحسمتُ مادَّة الخلاف بجَمعي لهم على مصحف واحد.

وأما نفيي لأبي ذر فإنه كَثَّر عليَّ وشَنَّع، فدفعتُ الفتنة، وقد رددتُه فأبى، ولم أر في تأديبه أبلغ من إبعاده عن المدينة.

وأما صِلتي لأقاربي فإنما وصلتُهم من مالي، وأما إبعادي للمسيَّرين من الكوفة فإنهم قصدوا إفساد الأمور فأبعدتُهم عنها.

وأما اتِّخاذي الحُجَّاب فقد كان رسول الله ﷺ يُستَأذن عليه.

وأما صعودي إلى مكان رسول الله ﷺ فهو كقيامي مكانَه في المحراب، فأردتُ أن أُعلم الناس جوازَ ذلك.

وفي رواية: ولو لم أفعل لنزل كلُّ إمام درجة، فيَخطبون تحت الأرض.

وأما تفويضي الزكاةَ في الأموال إلى أربابها؛ فإنما فعلتُ ذلك لأني رأيتُ الأموال قد كَثُرت، فخشيتُ أن يُطالَبَ الرَّجلُ بباطن حاله، وما لا يعلمه المطالب، فيُحْرجه ذلك إلى العصيان، فاكتفيتُ بالأموال الظاهرة.

وأما مَن مات ممن نفيتُه فارضوا بالله حكماً بيني وبينه، ومَن بقي فردُّوه، ومن ضربتُه فليقتَصَّ مني.

وأما عمَّالي فمَن شئتم فاعزِلوه، ومَن شئتُم فأبقوه، واكتبوا عليَّ صِكاكاً بالمال الذي قلتُم إني فرَّطتُ فيه، فما قدرتُ عليه قمتُ به، وما عجزتُ عنه سعيتُ فيه.

فقالوا: لا تُعطوا العطاءَ إلا للمقاتلة، قال: نعم، فأخذوا عليه المواثيق والعهود، وأخذ عليهم أيضاً، ووقّع الرضى بمحضرٍ من الصحابة، ونادى عثمان: مَن كان له ضَرْع فليلحق بضَرْعه، ومَن كان له زَرعٌ فليَلْحق بزرعه، ألا لا مالَ لكم عندنا، إنما هذا المال لمن قاتل عليه، وللشّيوخ من الصحابة، فغضب أهل المدينة وقالوا: هذا من مكر بني أمية.

ورحل المصريون إلى مصرهم، فبينما هم في الطريق إذا براكب يتعرَّض لهم، ثم

يُفارقهم، فأخذوه ففتَّشوه، وإذا معه كتابٌ إلى ابن أبي سرح بقتلِهم، فرجعوا إلى المدينة، فدخلوا على علي وطلحة والزبير والصحابة، فأوقفوهم على الكتاب وقالوا: قد أباح الله دمه، ثم أتوا إلى داره فحصروه، وخرج علي إلى ظاهر المدينة فأقام بقرية.

وحكى الطبري عن عمرو بن حماد بن طلحة القَنَّاد، وعلي بن الحصين، بإسنادهما إلى عبد الرحمن بن يسار قال: لما رأى الناسُ ما صنع عثمان، كتب مَن بالمدينة من الصحابة إلى مَن بالآفاق منهم، وكانوا قد تفرّقوا في البعوث: إنكم إنما خرجتم لتجاهدوا في سبيل الله، تنصرون دينَ محمد ﷺ، ودينُ محمد قد أُفسِدَ خلفَكم، فهلمُّوا فأقيموا دينَ محمد، فأقبلوا من كل أُفق إلى عثمان.

وكتب عثمان إلى ابن أبي سَرْح عاملِه على مصر ـ حين تراجع الناس، وزعم عثمان أنه تائب، وكان أهل مصر أشدَّ الناس عليه، فكان في كتابه: انظر فلاناً وفلاناً إذا قدموا عليك فاضرب أعناقَهم، وعاقب فُلاناً بكذا وكذا، وفلاناً بكذا وكذا، منهم نفرٌ من أصحاب رسول الله ﷺ، ونفرٌ من التابعين، وكان رسوله في ذلك أبو الأعور السُّلَمي، حمله عثمان على جَمل له، وأمره أن يَسبق القوم إلى مصر، فلحقهم أبو الأعور ببعض الطريق، فقالوا: إلى أين فقال: إلى مصر، ففتَّشوه فوجدوا الكتابَ المذكور، فعادوا إلى المدينة فقتلوه.

وحكى الطبري عن ابن الكلبي أنهم قالوا لعثمان: هذا غُلامك على جملك قال: انطلق بغير أمري، وأخذ الجملَ بغير علمي، قالوا: فنقش خاتمك؟ قال: نُقِش عليه[1].

وقال الواقدي: لما قال عثمان ما علمتُ بالكتاب قالوا: لا يخلو، إما أن تكون كاذباً أو صادقاً، فإن كنتَ كاذباً فقد استحققْتَ الخلع لما أمرتَ به من سفك دمائنا، وإن كنتَ صادقاً فقد وجب خلعُك لضعفك وغَفْلتك وخُبث بِطانتك، وإنه لا يجوز تركُ هذا الأمر مع مَن يكون بهذه الصفة، ثم إنك أحدثتَ أحداثاً عظيمة، فاستحققتَ بها الخلع، فإذا كُلِّمتَ فيها أعطيتَ التوبة ثم نكَثْتَ، فقال: فأنا تائبٌ، فقالوا: لا نَقبل

(١) الخبران في الطبري ٤/ ٣٦٧ـ٣٦٨.

توبةَ ناكث، ولا نزال حتى تخلعَ نفسَك من هذا الأمر، ونُولّيه مَن يَصلح، فقال: لا أفعل، ولو أردتُ قتالكم لكتبتُ إلى أمُراء الأجناد، فجاؤوا بالجيوش فقاتلوكم، فقالوا: فقد كتبتَ.

وقال هشام: وكان في الجمع الذين ساروا من مصر إلى عثمان محمد بنُ أبي حُذيفة ابن عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس، ومحمد بن أبي بكر الصديق ﷺ، وكان السبب في خروج محمد بن أبي حُذيفة على عثمان، أنه كان يتيماً في حِجْر عثمان، وكان مُحسناً إليه، فلما شبَّ محمد سأل عثمانَ أن يَستعمله فأبى، فاستأذنه في الخروج فقال: اذهب أين شئتَ، فخرج إلى مصر، وقام يُؤلّب عليه.

قال ابن سيرين: وأما محمد بن أبي بكر فكان في الإسلام بمكان عظيم، ومنزلةٍ عالية من عثمان، فما زال مروان بن الحكم يُغري بينهما ويقول: إن محمداً يَروم الخلافة، حتى مَنعه عثمان العطاء، ونال منه، وكتب في حقّه ذاك الكتاب، وأما عمرو ابن العاص فعزله عن مصر، وكان أشدَّ الناس عليه هو وعمار لأنه ضربه، كما ذكرنا.

ولما جاء المصريون، ونزلوا ذا خشب، وقال عثمان لمحمد بن مَسلمة: اخرج إليهم فامتنع؛ قال عثمان للمغيرة بن شُعبة: اخرج إليهم فخرج، فصاحوا به: يا أعور، يا فاسق، يا زاني، يا عدوَّ الله، ارجع وإلا قتلناك، فقال عثمان لعمرو بن العاص: اخرج إليهم فخرج، فصاحوا به: يا ابن النابغة، ارجع فلستَ عندنا بأمين، فقال عثمان لعلي: اخرج إليهم، فقال: على أن تُعطيني عهدَ الله وميثاقَه أن لا تُخالِفَني، فأعطاه، فخرج إليهم، فقالوا: ما وراءك؟ فقال: بل أمامي، إن عثمان يَدعوكم إلى كتاب الله وسنَّة رسوله، فقالوا: أضامِنٌ عنه أنت؟ قال: نعم، قالوا: رَضينا.

وخرج أشرافُهم معه، فدخلوا على عثمان، فعاتبوه وعاتبهم، وضَمِن لهم كلَّ ما أرادوا، فقالوا: اكتب بيننا وبينك كتاباً، فكتب: من عبد الله عثمان لمن نَقم عليه من المسلمين، أن لهم عليه العمل بكتاب الله، وسنّة رسوله، وأنه يُعطي المحروم، ويُؤمّن الخائف، ويَردُّ المنفي، ويُوفِّر الفيءَ، وعلي بن أبي طالب ضَمينٌ عنه بالوفاء بما فيه، شهد بذلك طلحة والزبير وسعد وابن عمر وزيد بن ثابت وآخرون، وكتب في ذي القعدة سنة خمس وثلاثين، وأخذوا بالكتاب نُسخاً وانصرفوا.

فقال علي لعثمان: إن البلاد قد تَمخَّضت عليك، ولا آمَنُ أن يأتيَ ركبٌ آخر من بعض الأمصار فتقول لي: اخرج إليهم، فإن لم أفعل قلتَ: قطعتَ رَحِمي، فاصعد المنبر، فتكلَّم بكلام يَحمله الناس عنك، وأشْهِد اللهَ على ما في قلبك.

فصعد عثمان المنبر، فأقرَّ بما فعل، واستغفر ربّه وقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «مَن زلَّ فليَتُبْ، ومَن أخطأ فليتُبْ، ولا يَتمادى في الهَلكة»، فوالله لئن رَدَّني إلى الحقّ عبدٌ لأتَّبعنَّه، ولأستَنَّ بسنَّة العَدْل، ولأذِلَّنَ ذلَّ العبد المرقوق، إن مُلِك صبر، وإن عَتق شكر، وأنا أوَّل مَن اتَّعظ، وما عن الله مَذهب، فإذا نزلتُ فليأتِني أشرافُكم، فلْيَروا فيَّ رأيَهم، فقام إليه سعيد بنُ زيد بن عمرو بن نُفَيل فقال له: الله الله في نفسك، فأتمّ على ما أنت.

ونزل عثمان، وسُرَّ الناسُ بقوله، واجتمعوا إلى بابه مُبتهِجين بما كان منه، فخرج إليهم مروان فزبرهم، وقال: شاهت الوجوه، انصرفوا فإن أمير المؤمنين مشغول.

وبلغ علياً ما قال مروان، فدخل على عثمان وقال له: ما رضي مروان منك إلا بإفساد دِينك، وخديعته إياك عن عقلك، والله إني لأراه يُوردُك ولا يُصدرك، وما أنا بعائدٍ إليك بعد يومي هذا، ثم خرج وعثمان ساكت، فقالت له زوجه نائلة بنت الفَرافِصة: إنه لا قَدرَ لمروان عند الناس ولا هيبة، فابعث إلى عليٍّ فأرضه، فأرسل إليه فلم يأته.

وأما المصريون فإنهم لما وصلوا أَيْلَة لَقَوا عندها عبداً على بعير، فاستخرجوا منه كتاباً إلى عبد الله بن سعد، وفيه ضَربُ عُنقِ ابن عُدَيس، وقطع أيدي الباقين وأرجلهم، ويُتركون يَتشحَّطون في دمائهم حتى يموتوا، فعادوا إلى المدينة، فدخلوا على عليّ وناولوه الكتاب، فعرف أنه خَتْم عثمان، فجمع عليٌّ كبارَ الصحابة، ودخلوا على عثمان فقالوا: أتعرفُ هذا الكتاب؟ فقال: أما الخطُّ فخطُّ كاتبي، وأما الخاتم فخاتمي، فقال له علي: فمن تَتَّهم؟ فقال: لا أتَّهِمُك ولا أتَّهم كاتبي، فقام علي مغضباً وهو يقول: والله إنه لكتابُك وأمرُك.

وقال ابن إسحاق: أشار كبار الصحابة على عثمان بعزل عبد الله بن سعد عن مصر، وتَوليةِ محمد بن أبي بكر، فكتب لمحمد عهدَه، وخرج مع المصريين، فأرسل مروان كتاباً إلى ابن سعد بقتل محمد والمصريين، فالتقوا عبدَ عثمان على بعير، ومعه الكتاب

المذكور ـ والكتاب بخطّ مروان ـ فعادوا إلى علي، فدخل علي وطلحة والزبير على عثمان، فقالوا: ما هذا؟ فأنكر، فقال: العبدُ عَبدُك، والبعير بعيرُك، والكتاب بخطِّ كاتبك، والختم خاتمك، فإن كنتَ فعلتَ فاعترف، فقال: والله ما عَلِمتُ به، فقالوا: فسلّم إليهم مروان، فأبى، فقاموا من عنده، ولَزِموا منازلَهم حنقاً عليه.

وقال هشام: وكان في الكتاب: واذبحْ محمد بنَ أبي بكر، واحشُ جلدَه تبناً.

وقال له المصريون: يا عثمان قد حلفتَ لنا ونكثتَ وأنكرتَ، وقد وجب خلعُك وقتلُك؛ لأنه لا يَخلو إما أن تكونَ كاذباً أو صادقاً، وقد ذكرناه.

وقال سيف بن عمر عن أشياخه: ولما جاءت الجمعة التي على أثر نُزولِ الجموع حول المدينة، وقد دخل منهم جماعةٌ إلى المسجد، ونزلوا حوله، خرج عثمان، فصعِد المنبر فقال: يا هؤلاء العِدى، اللهَ اللهَ، إن أهل المدينة ليَعلمون أنكم ملعونون على لسان محمد ﷺ، فامحوا الخطايا بالصَّواب فإن الله لا يَمحو السِّيِّئَ إلا بالحَسَن.

فقام محمد بن مسلمة فقال: أنا أشهدُ بذلك، فأخذه حُكَيم بن جَبَلة فأقعده، وقام زيد بن ثابت فثار إليه محمد بن أبي قُتَيرة فأقعده، وثار القوم بأجمعهم، فحَصَبوا عثمان حتى وقع عن المنبر مَغشيّاً عليه، وحَصَبوا الناس فأخرجوهم من المسجد، واحتُمل عثمان فأُدخل دارَه، وتفرَّق الناس من أهل المدينة في حيطانهم، ودخل علي وطلحة والزبير والصحابة على عثمان يَعودونه من صَرعته، وعزم قومٌ على القتال، منهم: سعد ابن أبي وقاص، وزيد بن ثابت، وأبو هريرة، والحسن بن علي، فأرسل إليهم عثمان يَنهاهم فكَفُّوا.

وقال سيف: صلّى بهم عثمان عشرين يوماً، ثم مَنعوه من الصّلاة.

وفي رواية سيف أيضاً عن محمد وطلحة وأبي حارثة قالوا: صلّى عثمان بالناس ثلاثين يوماً بعدما نزل القوم في المسجد، ثم مَنعوه الصَّلاةَ، وصلَّى بالناس أميرُ المصريين الغافقي، وتفرَّق أهلُ المدينة في حيطانهم، ولزموا بيوتَهم، لا يَخرج أحدٌ منهم ولا يَجلس ولا يَمشي إلا وعليه سيفُه خوفاً على نفسه، وكان الحصار الأوَّل عشرين يوماً، والحصار الأخير أربعين يوماً.

وحكى الواقدي عن أشياخه، منهم: عبد الله بن جعفر، حدَّثه عن أبي عَوْن مولى

المِسوَر قال: كان عمرو بن العاص عاملاً لعثمان بمصر على الخراج، فعزله عن الخراج، واستعمله على الصلاة، واستعمل عبد الله بن سعد على الخراج، ثم جمعَهما لعبد الله بن سعد.

فلما قدم عمرو بن العاص المدينة جعل يَطعن على عثمان، فأرسل إليه عثمان يوماً وكان خالياً، فجاءه فقال: يا ابن النابغة، ما أسرع ما [قَمِل جُرُبَّانُ] جُبَّتك، إنما عَهدُك بالعمل عامَ أوَّل، أتطعن عليَّ، وتأتيني بوَجهٍ وتَذهبُ عني بآخر؟! والله لولا الله لفعلتُ وفعلتُ، فقال له عمرو: اتّقِ الله يا أمير المؤمنين؛ فإن كثيراً مما يَنقل الناسُ إلى وُلاتهم باطل.

فقال له عثمان: والله لقد استعملتُك على ظَلَعِك وكَثرةِ القالة فيك، فقال عمرو: قد كنتُ عاملاً لعمر بن الخطاب قَبلَك، ففارقَني وهو عني راضٍ، فقال له عثمان: والله لو أخذتُك بما أَخَذك به عمر لاستقمتَ، ولكنني لِنتُ لك، فاجترأتَ عليّ، أما والله لأنا أعزُّ منك نَفراً في الجاهلية، وقبل أن ألي هذا السُّلطان.

فقال له عَمرو: دع عنك هذا، إن الإسلام قد جَمعنا، فالحمد لله الذي هدانا بمحمد وأكرمنا به، قد رأيتُ العاص بن وائل ورأيتُ أباك عفّان، فوالله لَلعاص كان أشرفَ من أبيك، فانكسر عثمان وقال: ما لنا ولذِكر الجاهلية.

ثم خرج عمرو ودخل مروان فقال: يا أمير المؤمنين، قد بلغتَ مَبلغاً يَذكر عمرو بنُ العاص أباك! فقال عثمان: دع هذا عنك، مَن ذكر أبا الرجل ذكر أباه.

وخرج عمرو من عند عثمان وهو حَنقٌ عليه، فأتى علياً فألّبه على عثمان، وأتى طلحة والزبير ففعل كذلك، وجعل يتعرَّض للحاج، فيُخبرهم بما أحدث عثمان، فلما كان الحصار الأول خرج عمرو من المدينة، فنزل فلسطين بمكان يقال له: السَّبْع، في قصرٍ يقال له: العَجلان، وجعل يقول: العجب مما يأتينا عن ابن عفان.

قال: فبينا هو جالسٌ في القصر ومعه ابناه محمد وعبد الله وسلامة بن رَوْح الجُذاميّ؛ إذ مرَّ بهم راكب، فناداه عمرو: من أين قَدِم الرجل؟ قال: من المدينة، قال: ما فعل الرجل ـ يعني عثمان؟ قال: تركتُه محصوراً شديد الحصار، فقال عمرو: الله أكبر، أنا أبو عبد الله، قد يَضْرُطُ العَيْرُ والمِكواةُ في النَّار[1].

(١) انظر جمهرة الأمثال ٢/ ١٢٣، ومجمع الأمثال ٢/ ٩٥.

فلم يبرح مجلسَه حتى مرَّ به راكبٌ آخر، فناداه عمرو: ما فعل الرجل؟ قال: قُتل، قال: الله أكبر، أنا أبو عبد الله، إذا حَككتُ قَرحةً نكأتُها، إن كنتُ لأُحرِّضُ عليه حتى الراعي في غنمه في شواهق الجبال.

فقال له سلامة بن رَوْح الجُذاميّ: يا معاشر قريش، إنه قد كان بينكم وبين العرب بابٌ وَثيقٌ فكسرتُموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردْنا أن نُخرجَ الحقَّ من خاصرة[1] الباطل، وأن يكون الناس في الحقِّ شَرَعاً سَواء.

وكانت عند عمرو يومئذ أمُّ كلثوم بنت عُقبة بن أبي مُعَيط، أخت عثمان لأمِّه، ففارقها حين عَزله عثمان.

فقال أبو القاسم السِّمناني: أوَّلُ رجلٍ لَقيه عمرو قال له: ما اسمُك؟ قال: حرب، قال: حورب والله الرجل، وسأل الثاني فقال: ما اسمُك؟ فقال: مقتول، قال: قُتل الرجل، ثم قال: ما وراءك؟ قال: وَلَّوا ابن أبي طالب، فقال: جاءنا والله شرٌّ من الذي ذهب.

وقال الواقدي: حدثني شُرحبيل بن أبي عَون، عن أبيه قال: سمعتُ عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يَغوث يقول: قبَّح الله مروان بن الحكم، خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرِّضا، وبكى على المنبر، وبكى الناسُ حتى نظروا إلى لحية عثمان مُخضلَّةً بالدُّموع، وهو يقول: اللهمَّ إني أتوب إليك ـ ثلاثاً ـ والله، لو رَدَّني الحقُّ إلى أن أكون عبداً لأرضيَنَّ به، إذا دخلتُ إلى منزلي فادخلوا عليَّ، فوالله لا أحتجبُ منكم، ولأُعطينّكم الرِّضا، ولأزيدنّكم على الرِّضا، ولأُنَحِّيَنَّ مروان وذريته[2].

قال: فلما دخل أمر بالباب ففُتح، ودخل عليه مروان، فلم يزل يَفتِلُه في الذِّروة والغارب حتى ألفته عن رأيه، وأزاله عما كان يُريد أن يفعل، فلقد مكث عثمان ثلاثةَ أيام لا يَخرج حياءً من الناس، وخرج مروان إلى الناس فقال: شاهَت الوجوه، ارجعوا إلى منازلكم، فإن يكن لأمير المؤمنين حاجةٌ إلى أحدٍ منكم يُرسل إليه، وإلا قَرَّ في بيته.

قال عبد الرحمن: فأتيتُ علياً وهو بين القبر والمنبر، وعنده عمار بن ياسر ومحمد ابن أبي بكر، وهما يقولان: صَنع مروان بالناس وصَنع وصَنع، فقال لي علي:

---

(١) في الطبري ٤/ ٣٥٧ : حافرة.

(٢) في الطبري ٤/ ٣٦٣ : وذويه.

حَضرتَ خُطبةَ عثمان؟ قلتُ: نعم، قال: أفحضرتَ مقالةَ مروان للناس؟ قلتُ: نعم، فقال علي: إن قعدتُ في بيتي قال: تركتَني وقرابتي وحقِّي، وإن تكلَّمتُ فجاء بما يريد يَلعبُ به مروان كيف أراد، ويَسوقه حيث شاء، بعد كِبَر السنِّ وصُحبةِ رسول الله ﷺ.

قال عبد الرحمن: فلم يقم عليّ حتى جاء رسول عثمان يقول: ائتِني، فقال علي بصوتٍ مُرتفعٍ مغضباً: قل له ما أنا بداخلٍ عليك، ولا عائدٍ إليك، قال: فانصرف الرسول، فلقيتُ عثمان بعد ذلك بليلتين جائياً، فسالتُ غُلامَه: من أين جاء؟ فقال: كان عند علي.

قال عبد الرحمن: فغدوتُ على عليّ فقال: جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إنني غيرُ عائدٍ، وإني فاعل كذا وكذا، فقلتُ له: أبعد ما تكلَّمتَ على منبر رسول الله ﷺ، فأعطيتَ من نفسك، ثم دخلتَ بيتك، وخرج مروان إلى الناس يَشتمهم على بابك، ويؤذيهم وأنت تَسمع، قال: فرجع وهو يقول: قطعتَ رَحِمي، وخذلتَني، وجرَّأتَ الناس عليّ، فقلتُ: والله إني لأذبُّ الناس عنك، ولكن كلما جئتُك بهَنَةٍ أظنُّها لك رضاً سمعتَ قولَ مروان، واستدخلتَ مروان، ثم لم يزل علي حتى أدخل الرَّوايا على عثمان.

وقال أحمد بإسناده عن محمد بن عبد الملك بن مروان، أنه حدثه عن المغيرة بن شعبة: أنه دخل على عثمان وهو محصور فقال له: إنك إمامُ العامّة، وقد نزل بك ما ترى، وإني أَعرضُ عليك خصالاً ثلاثاً اختر إحداهُنّ: إما أن تَخرج فتُقاتلَهم، فإن معك عَدداً وقوَّة، وأنت على الحقِّ وهم على الباطل، وإما أن نَخرقَ لك باباً سوى الباب الذي هم عليه، فتَقعُدَ على رَواحِلك، فتَلحقَ بمكة، فإنهم لن يَستَحِلُّوك وأنت بها، وإما أن تَلحقَ بالشام، فإنهم أهلُ الشام، وفيهم معاوية.

فقال عثمان: أمّا أن أخرجَ فأُقاتلْ، فلن أكونَ أوَّلَ مَن خَلَف رسولَ الله ﷺ في أمته بسفك الدِّماء، وأمّا خُروجي إلى مكة فإنهم لن يَستَحلُّوني بها، فإني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُلحِد رجلٌ في الحَرم من قريش أو بمكة، يكونُ عليه نصفُ عذاب العالم»، وأمّا أن ألحَقَ بالشام، فلن أُفارقَ دارَ هجرتي، ومجاوَرةَ رسول الله ﷺ[1].

(١) مسند أحمد (٤٨١).

وقال أحمد: حدثنا إسماعيل بن أبان الوَرَّاق، بإسناده عن ابن أَبْزى، عن عثمان بن عَفَّان قال: قال لي عبد الله بن الزبير: إنّ عندي نجائبَ أعدَدْتُها لك، فهل لك أن تتحوَّلَ إلى مكة فيَأتيك مَن أرادَ أن يأتيك؟ قال: لا، إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُلحِد بمكة كَبْشٌ من قُريشٍ، اسمُه عبد الله، عليه مِثلُ نصفِ أوزارِ الناس»(١).

ذكر ما قالوا لعثمان في خلْعه وما قال لهم:

قال ابن سعد بإسناده عن نافع، عن ابن عمر قال: قال لي عثمان وهو مَحصورٌ في الدار: ما ترى فيما أشار به عليَّ المغيرةُ بنُ الأخنس؟ فقلت: وما الذي أشار به؟ قال: قال لي: إن هؤلاء القوم يُريدون خَلعي، فإن خَلَعْتُ تركوني، وإن لم أخلَع قتلوني، قال: فقلتُ: أرأيتَ إن خَلَعْتَ تُتْرَك مُخَلَّداً في الدنيا؟ قال: لا، قلتُ: فهل يَملكون الجنةَ والنّار؟ قال: لا، قلتُ: أرأيتَ إن لم تَخْلَع هل يَزيدون على قتلك؟ قال: لا، قلتُ: فلا أرى أن تَسُنَّ هذه السُّنَّةَ في الإسلام، كلما سَخِط قومٌ على أميرهم خَلَعوه، لا تَخْلَع قميصاً قَمَّصَك الله.

وروى ابن سعد عن عثمان أنهم كانوا يَدخلون عليه وهو مَحصور، فيقولون: اعتزِلْنا، فيقول: لا أَنزِعُ سِربالاً سَرْبَلَنيه الله عز وجل، ولكن أَنزِعُ عما تكرهون.

قال ابن سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن جُبير قال: قال رسول الله ﷺ لعثمان: «إنْ كساك الله يوماً سِربالاً، فأرادك المنافقون على خَلْعه فلا تَخْلَعْه لظالم».

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي سَهْلة مولى عثمان، قال: قال رسول الله ﷺ في مرضه: «وَدِدْتُ أنّ عندي بعضَ أصحابي»، فقالت عائشة: فقلتُ: يا رسول الله، أدعو لك أبا بكر؟ فسكتَ، فعرفتُ أنه لا يُريده، فقلتُ: أَدْعُو لك عمر؟ فسكتَ، فعرفتُ أنه لا يُريده، فقلتُ: أدعو لك عثمان بن عفان؟ قال: «نعم»، فدعوتُه، فلما جاء أشار إليَّ

(١) مسند أحمد (٤٦١) وإسناده والذي قبله ضعيف، ومتنه منكر، وانظر الكلام عليهما في المسند.
وجاء في هامش (خ) ما نصه: أنا أتعجب من أمره غاية العجب، فإني ما رأيتُ كتاباً فيه تفصيل قصة عثمان رضي الله عنه إلا وقد كتب فيه أنه رضي الله عنه كلما عُرض عليه من أمر الحرب شيء يمنعه غاية المنع، حتى نقل عنه نقلاً مستفيضاً أنه قال يوماً لعبيده وقد رأى بعضهم يريد القتال: مَن ألقى سلاحه فهو حرّ، ومع هذا فقد أجمع أهل التاريخ أن عثمان رضي الله عنه كتب إلى عماله بإرسال الجيوش إليه، وقد ذكر في هذا الكتاب أيضاً في مواضع كثيرة.

رسولُ الله ﷺ أن تَباعدي، فجاء عثمان، فجلس إليه، فجعل رسول الله ﷺ يقول له ولَونُ عثمانَ يتغيَّر.

قال قيس: فأخبرني أبو سَهْلةَ قال: لما كان يومُ الدَّار قيل لعثمان: ألا تُقاتل؟ فقال: إن رسول الله ﷺ عَهِد إليَّ عهداً وأنا صابرٌ عليه، قال أبو سهلة: فيرُون أنه ذلك اليوم.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي أُمامة بن سهل، قال: كنتُ مع عثمان في الدار وهو مَحصور، فخرج إلينا مُنْتَقِعاً لونُه فقال: إنهم لَيَتَوعَّدونني بالقتل آنِفاً، قلنا: يَكفيكَهم الله، فقال: ولمَ يَقتلونني وقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «لا يحلُّ دمُ امرىءٍ مسلم إلا في إحدى ثلاث: رجلٍ كفر بعد إيمانه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نَفْساً بغير حقّ، أو بغير نفس»، ووالله ما زَنيتُ في جاهليةٍ ولا إسلام قط، ولا تمنَّيتُ أن [لي] بدِيني بَدَلاً منذ هداني الله، ولا قتلتُ نفساً، ففيم يَقتلونني؟

وقال ابن سعد بإسناده عن مجاهد قال: أشرفَ عثمان على الذين حصروه فقال: يا قوم، لا تقتلوني فإني والٍ وأخٌ مُسلم، فوالله إنْ أردتُ إلا الإصلاح ما استطعتُ، أصبتُ أو أخطأتُ، وإنكم إنْ تقتلوني لا تُصلُّون جميعاً، ولا يُقسَم فَيْئُكم بينكم أبداً، فلما أَبَوا قال: اللهمَّ أَحْصِهم عدداً، واقتُلْهم بَدَداً، ولا تُبقِ منهم أحداً.

قال مجاهد: فقتلَ الله منهم مَن قتل في الفتنة، وبعث يزيد إلى أهلِ المدينة عشرين ألفاً، فأباحوا المدينة ثلاثاً؛ يَصنعون ما شاؤوا لمداهَنَتِهم[1].

وفي رواية فقالوا: اخلع نفسَك، فقال: لا ولا كَرامة، إن رسول الله ﷺ قال: «يا عثمان، إن الله مُقَمِّصُك قميصاً، فإنْ أرادوك على خَلْعه فلا تخلَعْه لهم ولا كَرامة» قالها مرتين أو ثلاثاً[2].

وقد أخرج أحمد في «المسند»[3] بمعناه فقال: حدثنا موسى بن داود بإسناده، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة قالت: كنتُ عند النبي ﷺ فقال: «يا عائشة، لو كان

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٢ـ٦٤ .

(٢) تاريخ دمشق ٢٧٩ (عثمان).

(٣) برقم (٢٤٤٦٦).

عندنا مَن يُحدِّثنا»، قالت: فقلتُ: يا رسول الله، ألا أبعَثُ إلى أبي بكر؟ فسكتَ، قالت: ثم قال: «لو كان عندنا مَن يُحدِّثنا»، فقلتُ: ألا أبعَثُ إلى عمر؟ فسكت، ثم دعا وَصيفاً بين يديه، فسارَّه بشيءٍ فذهب، فإذا عثمان يَستأذن، فأذن له، فدخل، فناجاه طويلاً، ثم قال: ««يا عثمان، إن الله مُقَمِّصُك قميصاً،...» وذكره.

وقال أحمد بإسناده عن أبي سلمة بن عبد الرحمن قال: أشرف عثمان وهو محصور في القصر، فقال: أَنْشُدُ بالله مَن سمع من رسول الله ﷺ يومَ حِراء إذِ اهتزَّ الجَبل فرَكَله برِجله، ثم قال: «اسكُنْ حِراء، فما عليك إلا نبيٌّ أو صِدِّيقٌ أو شَهيد» وأنا معه؟ فانتشَدَ له رِجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله مَن شَهد بَيعةَ الرِّضوان وقد بَعَثني رسولُ الله ﷺ إلى أهلِ مكة، فقال: «هذه يدي، وهذه يدُ عثمان» فبايع لي؟ فانتَشَد له رجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله من سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن يُوَسِّع لنا بهذا البيت في هذا المسجد بنى الله له بيتاً في الجنة»، فاشتريتُه بمالي، فوَسَّعتُ به في المسجد؟ فانْتَشَد له رجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله مَن سمع رسول الله ﷺ ـ أو شَهد رسولَ الله ﷺ ـ يقول يومَ جيشِ العُسرة: «مَن يُنفِق اليوم نَفَقَةً مُتَقَبَّلَةً»، فجهَّزتُ نِصفَ الجيش بمالي؟ فانتَشَد له رجال.

ثم قال: أَنْشُدُ بالله رجلاً شَهِد بئرَ رُوْمَةَ يُباع ماؤها، فابتعتُها بمالي، أو من مالي، وأَبَحتُها ابنَ السبيل؟ فانتَشَد له رجال. أخرجه أحمد في «المسند»[1].

وأخرج البخاري طرفاً منه عن أبي عبد الرحمن السُّلَمي قال: إن عثمان لما حَصَروه أشرفَ عليهم من دارِه وقال: أَنْشُدكم اللهَ يا أصحابَ محمد، ولا أَنْشُدُكم إلا أنتم، ألستُم تَعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَن جَهَّز جيشَ العُسْرَةِ فله الجنَّة» فجهَّزتُه؟ ألستُم تَعلمون أن رسول الله ﷺ قال: «مَن حفر بئر رُومَةَ فله الجنة» فحفرتها؟ قال: فصدَّقوه بما قال[2].

---

(١) برقم (٤٢٠).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٧٨).

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي ليلى الكِندي قال: شهدتُ عثمان وهو محصور، فاطَّلع من كُوَّ وهو يقول: أيها الناس، لا تَقتلوني واستَتيبوني، فوالله لئن قتلتُموني لا تُصلُّون جميعاً أبداً، ولا تجاهدون عدواً جميعاً أبداً، ولتَختَلفُنّ حتى تَصيروا هكذا، وشبَّك بين أصابعه، ثم قال: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ﴾ الآية [هود: ٩٠]، ثم أرسل إلى عبد الله بن سلام فقال: ما ترى؟ فقال: الكفَّ الكفَّ، فإنه أبلغُ لك في الحُجَّة.

وفي رواية أنه قال: والله لئن قَتلتُموني لا تَضعون السَّيفَ عن أعناقكم أبداً إلى يوم القيامة، فقالوا: أمّا ما ذكرتَ مما يُصيبُنا من البلاء، فإنه لا يحلُّ تَركُ إقامةِ الحقِّ مخافةَ الفتنة في المستقبل، وأما قولك: فإنه لا يَحلُّ قتلُ غير الثلاثة الذين ذكرتَهم، فقتلُ السَّاعي بالفساد في الأرض، والباغي، ومَن حال بين الحقِّ وأهله واجبٌ، وقد بغيتَ، ومنعتَ الحقَّ، وكابرتَ، فلو خلعتَ نفسَك لانصرفنا عنك[1].

ذكر من كان يصلي بالناس وعثمان محصور:

واختلفوا في ذلك:

أخرج البخاري عن عُبيد الله بن عديّ بن الخيار، أنه دخل على عثمان وهو محصور، فقال له: إنك إمامُ العامَّة، وقد نزل بك ما ترى، وإنه يُصلّي بنا إمامُ فتنة، وأنا أتحرَّجُ من الصلاة معه؟ فقال عثمان: إن الصلاة من أحسن ما يَصنَعُ الناس، فإذا أحسن الناسُ فأحسِنْ معهم، وإذا أساؤوا فاجتنِبْ إساءَتَهم[2].

وإنما قال ابنُ الخيار هذا لأنه أقام القومُ على الصلاة الغافقيَّ، وقيل ابن عُدَيْس، وقيل كِنانة بن بشر.

وروى ابن إسحاق عن أشياخه قال: وأشرف عثمان وهو محصور فقال: أين عبد الله ابن عباس؟ فأجابه، فقال: اذهب على الموسم فحُجَّ بالناس، فقال: يا أمير المؤمنين، الجهاد في هؤلاء أحبُّ إليّ، فأقسم عليه، ثم قال عثمان: ليُصَلِّ بالناس الجمعة والعيد

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٦٧ .

(٢) صحيح البخاري (٦٩٥).

عليُّ بن أبي طالب، وباقي الصلوات سَهْل بن حُنَيْف، وقيل صلى بهم طلحة، وقيل الزبير الصلوات الخمس.

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن يزيد بن رومان قال: لما حُصر عثمان جاء المؤذِّنُ سعدٌ القرظي إلى علي عليه السلام، فقال: مَن يُصلّي بالناس؟ قال: سهل ابنُ حُنَيف، فلما كان يوم العيد صلّى عليّ بالناس، وقيل صلى بهم كِنانة بن بشر.

وقال ابن سعد بإسناده عن محمد بن سيرين قال: جاء زيد بن ثابت إلى عثمان فقال: هذه الأنصار بالباب يقولون: إن شئتَ كنا أنصار الله مرتين، فقال عثمان: أما القتال فلا.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عامر بن ربيعة قال: قال عثمان يومَ الدَّار: أعظمُكم عنّي غَناءً رجلٌ كفَّ يده وسلاحَه.

وروى ابن سعد أيضاً بإسناده عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: دخلتُ على عثمان يومَ الدار، فقلتُ: يا أمير المؤمنين: طاب امْضَربُ، فقال: يا أبا هريرة، أيَسُرُّك أن تَقتُلَ الناس جميعاً وإيّاي؟ قلت: لا، قال: فإنك والله إنْ قتلتَ رجلاً واحداً فكأنما قتلتَ الناس جميعاً، قال: فرجعتُ ولم أُقاتل[1].

قلتُ: والظاهر أن قولَ أبي هريرة: طاب امْضَرْبُ ليس له معنى، والأصحُّ ما ذكره الشيخ الموفَّق رحمه الله في «الأنساب»[2] عن أبي هريرة قال: إني لمحصورٌ مع عثمان في الدار، إذ رَمى رجلٌ بسهم، فقلتُ: يا أمير المؤمنين، طاب الضِّراب، قتلوا منا رجلاً، فقال عثمان: عَزَمْتُ عليك يا أبا هريرة إلا ما رميت سيفَك، فإنما تُراد نَفْسي، وسَأقي المسلمين أو المؤمنين بنفسي، قال: فرميتُ بسيفي، فلا أدري أين هو إلى الساعة.

وقال ابن سعد بإسناده: أمّر عثمان عبد الله بن الزُّبير على الدار، وقال: مَن كانت

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٦ ، وقوله: طاب امضرب، قال ابن الأثير في النهاية (طيب) أراد: طاب الضرب، فأبدل لام التعريف ميماً، وهي لغة معروفة.

(٢) التبيين ١٨٠ .

لي عليه طاعةٌ فليُطع ابنَ الزبير.

وفي رواية ابن سعد، قال ابنُ الزبير: يا أمير المؤمنين، قاتلْهم، فوالله لقد حلَّ لك قتالُهم أبداً، وإن في الدّار عصابة مُستنصِرةً بنصر الله بأقلَّ منهم، فأذنْ لي فلأُقاتِلْ، فقال: أَنشُدُ الله ـ أو أُذكِّر الله ـ رجلاً أهراق فيَّ دمَه، أو فيَّ مِحْجَمةَ دمٍ.

وقال ابن سعد بإسناده عن ابن سيرين قال: كان مع عثمان في الدَّار يومئذٍ سبعُ مئة، لو يَدعهم لضَربوهم حتى يُخرجوهم من أقطارها، ابنُ عمر والحسن بن علي وابن الزبير.

وقال ابن سعد عن الواقدي بإسناده، عن أبي جعفر القاري مولى ابنِ عياش المخزومي قال: كان المصريّون الذين حصروا عثمان ستّ مئة، رأسُهم عبد الرحمن ابن عُدَيْس البَلَوي، وكِنانة بن بشر بن عَتَّاب الكِندي، وعمرو بن الحَمِق الخزاعيّ، والذين قَدِموا من الكوفة مئتين، رأسُهم مالك الأشتر النّخَعي، والذين قدموا من البصرة مئة، رأسُهم حُكَيم بن جَبَلة العبدي، وكانوا يداً واحدة في الشرّ، وكان حُثالةٌ من الناس قد ضَوَوا إليهم، قد مَرِجَت عُهودُهم وأمانتهم، مَفتونون، وكان أصحابُ النبي ﷺ الذين خَذلوه كرهوا الفِتنة، وظنوا أن الأمر لا يَبلُغُ قتلَه، ثم ندموا على ما صنعوا في أمره، ولعَمري لو أقاموا أو أقام بعضُهم فحثا في وجوههم التُّراب لانصرفوا خائبين.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن الحكم بن القاسم، عن أبي عون مولى المِسور ابن مَخْرَمة قال: مازال المصريُّون كافّين عن دمه وعن القتال حتى قدمت أمدادُ وفود أهل العراق من الكوفة والبصرة، فلما جاؤوا شَجُعَ القوم حين بلغهم أن البُعوثَ قد فَصَلَتْ من العراق من عند ابن عامر، ومن مصر من عند ابن سعد، فقالوا: نُعاجِلُه قبل أن تَقدم الأمداد.

وفي رواية: وكان عثمان قد كتب إلى عُمَّاله: الوَحا الوَحا، فنَفروا على الصَّعبة والذَّلول.

وحكى ابن سعد، عن الواقدي، عن أشياخه، قال مالك بن أبي عامر: خرج سعد ابن أبي وقاص من عند عثمان وهو محصور، فرأى عبد الرحمن بنَ عُدَيْس، والأَشتر النَّخَعيّ، وحُكَيم بن جَبَلَة، فصَفّق بيده على الأُخرى، ثم استَرجعَ وقال: إن أمراً

هؤلاء رؤساؤه لأمرٌ سوء[١].

وقال محمد بن إسحاق: كتب أهلُ مصر من ذي خُشُب، وكتب أهلُ المدينة إلى عثمان، لا نَرضى منك إلا بالتوبة، والرجوع عما أنت عليه، فلما خاف القتل شاور بني أمية فقالوا: الرأيُ أن تبعثَ إليهم علياً، فيَرُدَّهم ويعطيهم ما يطلبون، ويُطاولهم مُدّة، فقال: إن القوم لن يَقبلوا التعليل، ومتى أعطيتُهم ذلك سألوني الوفاءَ به، وقد أعطيتُهم في الأول عهداً ولم أفِ لهم به، فقال له مروان: إنما هم بُغاةٌ، ولا عهدَ لهم، فطاوِلْهم مُدَّةً إلى أن تأتيك الأمداد.

فدعا علياً وقال له: يا أبا الحسن، إنه قد كان من أمر الناس ما رأيتَ، ولستُ آمنُهم على قتلي، فاردُدْهم عني، ولله عليَّ أن أُعطيَهم كلَّ ما يَطلبون، وأُزيل عنهم ما يَكرهون مني ومن غيري، وإن كان في ذلك سَفْكُ دمي.

فقال له علي: الناسُ إلى عَدْلك أحوجُ منهم إلى قَتْلك، وقد كنتَ أعطيتَهم في قَدمَتهم الأولى عهداً لتَرجعَنَّ عن جميع ما نقموا عليك، فرددتَهم عنك، ثم لم تفِ لهم بشيءٍ من ذلك، فلا تَغُرّني في هذه المرة كما فعلتَ، ووالله لئن أعطيتَهم الحقّ لأفيَنَّ لهم[٢].

ثم خرج عليّ إلى الناس فقال: إن عثمان قد زعم أنه مُنصِفُكم من نفسه ومن غيره، وراجعٌ عن جميع ما تكرهون، فقالوا: قد قبلنا ورضِينا، فاستوثِقْ لنا منه، فإنّا والله لا نَرضى بقولٍ دون فعل، فعاد إليه فأخبره، فقال عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مُهلة، فإني لا أقدِرُ على ردِّ ما كَرهوا في يوم واحد، فقال له علي: ما كان حاضراً بالمدينة لا أجلَ فيه، وما غاب فأجَلُه وصولُ أمرِك. فقال: نعم، ولكن أجِّلني فيما كان في المدينة ثلاثةَ أيام، قال علي: نعم، وخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك فرَضُوا، وكتبوا بينهم وبينه كتاباً أجّلوه ثلاثة أيام؛ على أن يَردَّ كلَّ مَظلمة، ويَعزِلَ كلَّ عاملٍ كرِهوه، وأخذ عليه في الكتاب أعظمَ ما أخذ الله على أحدٍ من خلقِه من عهدٍ

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٧ـ٦٨ .

(٢) في الطبري ٤/ ٣٧٠ : فلا تغرني... فإني معطيهم عليك الحق، قال [يعني عثمان]: نعم فأعطهم، فوالله لأفيَنّ لهم.

وميثاق، وأشهد عليه وُجوهَ المهاجرين والأنصار.

فكفَّ المسلمون عنه، ورَجَوا أن يَفيَ لهم من نفسه بما أخذوا عليه، فجعل يَتأهَّبُ للقتال، ويَستعدُّ بالسلاح، وقد كان اتّخذ عَبيداً [من رقيق] الخُمْس، فلما مضت الأيامُ الثلاثة ـ وهو على حاله لم يردّ مَظلمة، ولم يَعزل عاملاً، ولم يُغيِّر شيئاً مما يَكرهون ـ ثار به الناس.

وخرج ابن حَزْمٍ الأنصاري، فأتى المصريّين بذي خُشُب، فأخبرهم الخبر، فدخلوا المدينة، وأرسلوا إلى عثمان: ألم تُعطِنا عهدَ الله على إزالة ما نكره، وأنك تائبٌ من إحداثك؟ وأين العهود والمواثيق؟ وكانوا قد وجدوا كتابَه إلى ابن سعد بقتلِهم، فلما بعثوا إلى عثمان بهذا قال: بلى، وأنا مقيمٌ على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب، وما هذا الفعل؟ فقال: الخَطُّ قد يُشبه الخط، والجمل فيُسرق، قالوا: فقد رضينا وقَبِلنا عُذرَك، من الآن فاردُد المظالم، واعزِلْ عُمَّالك، واستعمل علينا مَن لا نَتَّهمه في أموالنا وحَريمنا ودمائنا، فقال عثمان: فما أُراني إذن في شيءٍ إن كنتُ أستعمِل مَن هَويتم، وأعزِل مَن كَرِهتُم، فقالوا: والله لنَقتُلَنّك، فحصروه أربعين ليلة، وطلحةُ يُصلّي بالناس، ثم قتلوه.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي جعفر محمد بن علي قال: بعث عثمان إلى عليّ يَدعوه وهو محصور في الدار، فأراد أن يأتيَه، فتعلَّقوا به ومنعوه، قال: فحلَّ عمامةً سوداءَ عن رأسه وقال: اللهمَّ لا أرضى قتلَه ولا آمُر به، يُكرّرها.

وفي رواية ابن سعد، عن أبي فَزارة العبسيّ قال: فقام عليّ ليأتيه؛ فقام بعض أهله فمنعه، وفي رواية: فقام بنو هاشم فمنعوه وقالوا: أما تَرى إلى ما بين يديك من الكتائب؟ لا تَخلُصُ إليه أبداً، فنقض علي عِمامته، ورمى بها إلى رسول عثمان وقال: أخبِرْه بالذي رأيتَ، ثم خرج عليّ من المسجد حتى انتهى إلى أحجار الزيت في سوق المدينة، فأتاه قتلُه فقال: اللهمَّ إني أبرَأُ إليك من دمه [أن أكون قَتلتُ]، أو أكونَ مالأتُ على قتلِه[1].

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٦٤ـ٦٥ .

وقال هشام: كتب عثمان إلى عليّ وهو محصور: [من الطويل]

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ أنت آكِلي وإلا فأدرِكْني ولما أُمَزَّقِ[1]

فقام علي متقلِّداً سيفَه، وقام إليه بنو هاشم فقالوا: نخافُ عليك القتل، والله لا نُمكّنك من المضيّ أبداً.

وروى ابن إسحاق، عن أشياخه قال: لما طَلب عثمان علياً جاء مُتقلداً لسيفه، يَشُقُّ الصّفوف، حتى وقف بباب عثمان، وقال لابنه الحسن: ادخل إليه، وقل له: إنما جئتُ لنُصرتِك، فما تأمُرني؟

فقال: قلْ له: لا حاجةَ لي في إهراق الدّماء، فخرج إليه فأخبره، فرمى عمامتَه وقال: الله أكبر ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾[يوسف: ٥٢].

وقال البلاذريّ: الأصح أن عثمان قُتل وعلي بظاهرِ المدينة، في قريةٍ يُقال لها البُغَيْبِغَة[2].

وقال المسعودي: لما أحدقوا بالدار طَلبوا من عثمان أن يُسْلم إليهم مروان، فأبى[3].

ولما بلغ علياً أنهم قاتلوه أرسل إليه بالحسن والحسين مع مواليه بالسلاح يقاتلون عنه، وبعث إليه طلحةُ ابنَه محمد، والزبير ابنَه عبد الله.

وقال الواقدي: جاءهم عبد الله بن سلام، فوقف عليهم وصاح: يا قوم، إنه والله ما قتلتْ أمّةٌ نبياً إلا قُتل مكانه سبعون ألفاً، ولا قتل قومٌ خليفةً إلا قُتل مكانه خمسةٌ وثلاثون ألفاً، فسَبُّوه وقالوا: يا ابنَ اليهوديّة.

وقال عثمان لعبيده: مَن أغمد سيفَه فهو حُرّ، فبينما عثمان كذلك أحرقوا الباب.

قال الواقدي: لما مضى من الحصار خمسةٌ وثلاثون يوماً، وقد طرحوا رُقَباء على علي وطلحة والزبير، وقالوا: إن تَحرّكوا اقتُلوهم، فلما حِيل بينهم وبين عثمان بعثوا

(١) البيت في الأصمعيات ١٦٦ للممزّق العبدي.

(٢) انظر أنساب الأشراف ٢/ ١٤٨ .

(٣) انظر مروج الذهب ٤/ ٢٨١ .

إليه بأولادهم، فقال عثمان: أَغمِدوا سيوفكم، وما صَبري إلا بالله، فإني رأيتُ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر في المنام وهم يقولون: اصبر، فإنك ستصلُ إلينا في وقت كذا وكذا، في اليوم الذي قُتل فيه.

قال: وبلغ القوم أن الأمدادَ واصلةٌ إليهم، فجَدُّوا في أمره، ومَنَعوه الماء، فأرسل إلى علي وطلحة والزبير وأزواج النبي ﷺ يقول: قد مَنعوني الماء، فجاء عليّ إليهم، فوقف عليهم وقال: إن الروم تأسِر فتُطعم وتَسقي، وفِعلُكم لا يُشبِه فعلَ المسلمين ولا فعلَ الكافرين، فقالوا: لا ولا كَرامة، لا نَسقيه ولا نُطعمه حتى يَخلعَ نَفْسَه.

وجاءت أمُّ سلمة، وقيل أم حبيبة، زوجةُ النبي ﷺ راكبةً على بغلةٍ، وهي مُشتملةٌ على إداوةٍ، فقالت لهم: إن وصايا بني أمية عند هذا الرجل، وإني أحبُّ لقاءه، فقالوا: كذبْتِ، وقُطع ذَنب بَغْلتها بالسيف، فلم تصل إليه.

قال: وخرجت عائشة هاربةً إلى مكة، سألت أخاها محمداً أن يَصحَبها فأبى.

وقال هشام: عَزمَتْ عائشةُ على الحجِّ وعثمان مَحصور، فجاءها مروان فقال: أتخرُجين وأميرُ المؤمنين محصور؟ لا تفعلي، فإن مقامك مما يَدفع الله به، فأبت فتمثّل مروان: [من المتقارب]

وحَرَّقَ قيسٌ عليَّ البلادَ حتى إذا استَعَرَتْ أجذَما

فقالت عائشة: أيُّها المتمثِّل عليَّ بالأشعار، وددتُ والله أنك وصاحبَك هذا الذي يَعْنيك أمرُه؛ في رِجل كلِّ واحدٍ منكما رَحى، وأنكما في البحر، ثم خرجت.

وقال ابن إسحاق: أشرف عثمان من داره وقد اشتدَّ به العَطَش، فقال: هل فيكم من يُبلِّغ علياً عَطَشنا، فأبلغوه، فأرسل إليه بثلاث قِرَب من الماء مع عبيده وطائفةٍ من بني هاشم، فما وصلت إليه إلا بعد مشقّة.

وكانوا قد وَكلوا بعلي وطلحة والزبير رُقَباء، فوضعوا على علي خالد بن مُلْجَم في نفرٍ، وعلى طلحة سُودان بن حُمْران، وقالوا: إن تحرّكوا اقتلوهم.

ذكر مقتله رضي الله عنه:

قد أخبر رسول الله ﷺ بذلك.

قال أحمد بإسناده عن ابن عمر قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنةً، فمرَّ رجلٌ مُقَنَّع، فقال رسول الله ﷺ: «يُقتَل فيها هذا المقنَّعُ مظلوماً»، قال ابن عمر: فنظرت فإذا الرجل عثمان[١].

رَجَعْنا إلى قتل عثمان، قال الطبري في تاريخه: حدثني يعقوب، عن إسماعيل بن إبراهيم، عن ابن عَوْن بإسناده، وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الرحمن بن محمد بن عبد:

أن محمد بن أبي بكر تَسوَّر على عثمان من دارِ عمرو بن حزم، ومعه كِنانة بن بِشْر ابن عتَّاب وسُودان بن حُمران وعمرو بن الحَمِق، فوجدوا عثمان عند امرأته نائلة، وهو يقرأ سورة البقرة من المصحف، فتقدَّمهم محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحية عثمان وقال: قد أخْزاك الله يا نَعْثَل، فقال عثمان: لستُ بنَعْثَل ولكني عبد الله وأميرُ المؤمنين، فقال محمد: ما أغنى عنك مُعاوية وفلان وفلان؟ فقال عثمان: يا ابن أخي، دعْ عنك لحيتي فما كان أبوك ليَقْبضَ على ما قبضتَ عليه، فقال محمد: ما أُريدُ بك أشدَّ من قبضتي على لحيتك، فقال عثمان: أَستنصِرُ بالله عليك وأستعينُ به، ثم طعن جبينَه بمِشْقَصٍ في يده، ورفع كِنانةُ بن بشر بن عتّاب مَشاقِصَ كانت في يده فوَجأ بها في أصل أُذُن عثمان، فمضت حتى دخلت في حَلْقه، ثم علاه بالسيف حتى قتلَه.

قال عبد الرحمن بن عبد العزيز: فسمعتُ ابنَ أبي عون يقول: ضرب كِنانة بن بِشر جبينَه ومُقَدَّم رأسِه بعمود حديد، فخرَّ لجَنبه، وضربه سُودان بن حُمران المراديّ بعدما خَرَّ لجَنبه فقتله، وأما عمرو بن الحَمِق فوَثب على عثمان، فجلس على صدره وبه رَمَقٌ، فطعنه تسعَ طَعْنات وقال: أما ثلاثٌ منهنّ فإني طعنتُهنّ لله، وأما ستّ فإني طعنتُه لما كان في صدري عليه[٢].

وقال ابن سعد بإسناده عن الزبير بن عبد الله، عن جدّته قالت: لما ضربه بالمشاقِص قال عثمان: بسم الله توكَّلتُ على الله، وإذا الدَّمُ يَسيل على لحيته يَقطُر، والمصحف بين يديه، فاتّكأ على شِقّه الأيسر وهو يقول: سبحان الله العظيم، وهو في ذلك يَقرأ في

(١) مسند أحمد (٥٩٥٣).

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٧١، وطبقات ابن سعد ٣/ ٧٠ واللفظ له.

المصحف، حتى وقف الدَّمُ عند قوله تعالى: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾[البقرة: ١٣٧]، وأطبق المصحف، وضربوه جميعاً ضربةً واحدة فقتلوه، ولقد كان يُحيي الليلَ في ركعة، ويَصلُ الرَّحم، ويُطعم الملهوف، ويَحمل الكَلّ، فرحمه الله.

وقال ابن سعد عن الزهري قال: قُتل عثمان عند صلاةِ العصر، وشدَّ عبدٌ لعثمان أسود على كِنانه بن بِشر فقتله، وشدَّ سُودان على العبد فقتله، ودخلت الغَوغاء دار عثمان، فصاح إنسانٌ منهم: أيَحِلُّ دمُ عثمان ولا يحلُّ مالُه؟ فانتهبوا مَتاعَه، فقامت نائلة وقالت: لُصوص وربِّ الكعبة، أعداء الله، ما ركبتُم من دم عثمان أعظم، أما والله لقد قتلتموه صوَّاماً قوَّاماً، يَقرأ القرآن في ركعة واحدة، ثم خرج الناس من دار عثمان، وأُغلق بابُه على ثلاثةٍ قُتلوا: عثمان، وعبد عثمان، وكنانة بن بشر.

وقال ابن سعد بإسناده ويزيد بن هارون قالا: حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن يَعلى ابن حكيم، عن نافع قال: أصبح عثمان بن عفان يوم قُتل يَقُصُّ رؤيا على أصحابه رآها، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ البارحةَ فقال لي: يا عثمان، أفطِرْ عندنا، قال: فأصبح صائماً، وقُتل في ذلك اليوم.

وفي رواية ابن سعد: نام عثمان يوم الجمعة، وأتيتُه فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في منامي هذا فقال: إنك شاهدٌ فينا الجمعة.

وفي رواية ابن سعد أيضاً، عن نائلة قالت: أغفى عثمان، فلما استيقظ قال: إني مقتول، فقلتُ: كلا يا أمير المؤمنين، قال: إني رأيتُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكر وعمر فقالوا: أفطِرْ عندنا الليلة، أو قالوا: إنك تُفطر عندنا الليلة.

وقال ابن سعد بإسناده، عن محمد بن سيرين قال: لما أحاطوا بعثمان ودخلوا عليه ليقتلوه قالت امرأتُه: إن تَقتلوه أو تَدَعوه فقد كان يُحيي الليلَ بركعةٍ يَجمع فيها القرآن.

وقال ابن سعد فيما رواه، عن عطاء بن أبي رباح: أن عثمان بن عفان صلّى بالناس، ثم قام خلف المقام فجمع كتاب الله في ركعة كانت وتره، فسُمِّيت البُتَيراء[1].

قلت: وهذا حاصل ما ذكره ابن سعد في «الطبقات» في مَقتل عثمان.

---

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٧٠ ـ ٧٢.

وقال الواقدي: صَعدوا من دار عَمرو بن حَزْم، وكان قد دنا بعضُهم من الباب، فشغلوا مَن كان عليه بالقتال، مثل الحسن بن علي، وابن عمر، وابن الزبير، ومحمد ابن طلحة، ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وبني أمية، وجاءت طائفةٌ من وراء الدار فصعدوا إلى دار عمرو بن حزم، فتسوَّروا عليه منها، ولم يَعلم بهم مَن على الباب، فلما رآهم عثمان أخذ المصحف، فجعله في حجره فقتلوه.

واختلفوا في قاتله؛ فحكينا عن ابن سعد أن محمد بن أبي بكر باشر قتلَه ومعه ثلاثة وسمَّيناهم[١].

وأنكر جماعة أن يكون محمد باشر قتلَه، منهم البلاذري فإنه قال: لما قال له ما قال استرخت يده وخرج، وكذا قال المسعودي، فإنه لما أمسك لحيةَ عثمان قال له: يا محمد، لو رآك أبوك لساءه فِعلُك، فخجل، واسترخت يدُه، وخرج من الدار، ولم يَشهد قتلَه[٢].

وقال ابن سعد بإسناده عن كِنانة مولى صفيّة قال: رأيتُ قاتلَ عثمان في الدار، رجلاً أسود من أهل مصر يُقال له: جَبَلَة، رافع يديه يقول: أنا قاتلُ نَعْثَل.

وروى ابن سعد، عن حجَّاج بن نُصَير، عن أبي خَلدة، عن المسيّب بن دارم قال: إن الذي قَتل عثمان قام في قتال العدوِّ سبعَ عشرة سنة، يُقتَل مَن حوله، لا يُصيبه شيءٌ حتى مات على فراشه[٣].

وقال هشام: ضربه الغافقيّ بحَرْبةٍ فشجّه بها، فقطر الدّمُ على المصحف، فأبقى الحربةَ بيده ورفع المصحف، فضربه الغافقيّ برجله، ثم ضربه سودان بن حُمران بالسيف، فاتّقته نائلة زوجةُ عثمان، فقطع أصابعَ يديها، وضربه نِيار بن عِياض الأسلمي بالسيف على وجهه.

وفي رواية عن هشام بن محمد: أن الذي باشر قَتْلَه الأسود النَّخَعيّ المصري.

---

(١) في (خ): ثلاثة عشر وسميناهم.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ١٩٦ ، ومروج الذهب ٤/ ٢٨٠ ـ ٢٨١ .

(٣) الخبران في طبقات ابن سعد ٣/ ٧٩ .

ولما ضرب سُودان بن حُمران يدَ نائلة فأطنّها وثب غلامٌ لعثمان فقَتل سودان، وقاتل مروان وبنو أمية حتى أُثخنوا بالجراح، وجُرح الحسن بنُ علي، وقَنْبر، وابنُ الزبير، وابنُ عمر جراحات كثيرة، وكان مروان يَحمل ويقول: لا يُقتل [ابنُ] عَمّي وأنا أسمع الصوت.

وقال الواقدي: لما أحرقوا الدار قال عثمان: ما بعد الحريق من خير، فاحترقت السّقوف والأبواب، وقال عثمان: مَن كان لي عليه طاعة فليُمْسك يده، فإنما يُريد القومُ قتلي، وسيندمون بعدي، ولو تركوني لظننتُ أني لا أُحبُّ الحياة، قد تغيَّر حالي، وسقطت أسناني، ورقّ عظمي، ثم قال لمروان: اقعُدْ ولا تَخرجْ، فقال مروان: والله لا يُخلَص إليك وأنا أسمع الصَّوت، ثم حمل مروان وهو يقول: [من الرجز]

قد عَلِمتْ ذاتُ القرونِ المِيلِ
والكَفِّ والأنامِلِ الطُّفولِ
أني أَرُوعُ أوَّلَ الرَّعيلِ
بغارَةٍ مثلِ قَطا الشَّليلِ

فضربه ابنُ البيّاع بالسيف على رقبته من خلفه فأثبته، فوقع على وجهه صريعاً، فأخذتْه فاطمة بنت أوس جدَّةُ إبراهيم بن العربي، فأدخلتْه بيتَها، فكان بنو عبد الملك يَعرفون ذلك لآل عَربي.

وفي رواية هشام: أن مروان خرج من الدَّار وصاح: هل من مُبارز؟ فقال عبد الرحمن بن عُدَيْس لرجل: قُمْ إليه، والذي برز إليه يُقال له عُروة، فضربه على عُنُقه فأثبَتَه، فخرَّ صريعاً، فأراد عُبيد بن رفاعة الزُّرقي أن يُدَفّفَ على مروان، فوَثبت فاطمة أمُّ إبراهيم بن عَربي صاحب اليمامة، وكانت قد أرضعت مروان، فقالت: إن كنتَ تُريد قتلَ الرجل فقد قُتل، وإن كنتَ تُريد تَلعبُ بلحمه فهذا قبيحٌ، فكفَّ عنه، فمازال بنو مروان يَعرفون لها ذلك حتى استعملوا ابنَها إبراهيم فيما بعد.

وحكى الطبري عن حُسين بن عيسى، عن أبيه قال: لما مضت أيامُ التّشريق أطافوا بدار عثمان، وأبى إلا الإقامة على أمره، فأرسل إلى حَشَمه وحاشيته فجَمَعهم، فناداه

رجلٌ من أصحاب رسول الله ﷺ من أسلم، يقال له: نِيار بن عِياض، وكان شيخاً كبيراً: يا عثمان، فأشرف عليه من داره، فناشده الله وذكّره لما اعتزلهم، فرماه رجلٌ من أصحاب عثمان بسهمٍ فقتله، وزعموا أن الذي رماه كثير بن الصَّلْت الكِندي، فقالوا لعثمان: ادفع إلينا قاتلَ نيار لنقتُلَه به، فقال: لم أكن لأدفعَ رجلاً نَصَرني، وأنتم تُريدون قتلي، فلما قال لهم ذلك ثاروا إلى بابه فأحرقوه، وخرج عليهم مروان من دار عُثمان في عصابة، وخرج سعيدُ بن العاص في عصابة، فاقتتلوا قتالاً شديداً.

وكان الذي جَرَّأهم على القتال أنه بلَغهم أن مَدَداً من أهل البصرة نزلوا صِراراً ـ وهي من المدينة على لَيلةٍ ـ وأن أهلَ الشام قد توجَّهوا مُقبِلين، فاقتتلوا، وجُرح عبد الله ابنُ الزبير جِراحات كثيرة، وحمل رفاعة بن رافع الأنصاري على مروان فأثبته، ونزع عنه وهو يرى أنه قد قتلَه.

ثم انهزم أصحابُ عثمان فالتجؤوا إلى القصر، واعتصموا ببابه، فلم يزل الناس يَقتتلون حتى فتح عمرو بن حَزْم الأنصاري بابَ داره، وهي إلى جانب دار عثمان، ثم نادى الناس، فأقبلوا إليه، فدخلوا عليهم في داره فقتلوهم في جوفِ الدار، حتى انهزموا وخَلّوا لهم عن باب الدّار، فخرجوا هاربين في أزِقَّة المدينة، وبقي عثمان في ناسٍ من أهل بيته وأصحابه، فقُتل عثمان وقُتلوا معه.

وحكى الطبريّ عن يعقوب بن إبراهيم بإسناده، عن أبي سعيد مولى أبي أسَيْد الأنصاري: أن عثمان أشرف عليهم وقال: السلام عليكم، فما ردَّ أحدٌ منهم عليه، فقال: أَنشُدكم بالله، هل علمتُم أني اشتريتُ بئرَ رُومَةَ من مالي؟ قيل: نعم، قال: فعلام تَمنعوني أن أشربَ منها؟! وذكر أنه اشترى قطعةً من الأرض فأدخلها في المسجد، وذكر أشياء.

ثم فتح الباب، ووَضَعَ المصحفَ في حجره، فدخل محمد بن أبي بكر، فأخذ بلحيته، فقال له: لقد أخذتَ مني مَأخذاً، وقعدتَ مني مقعداً، ما كان أبوك ليَأخُذَه ويَقعُدَه، فخرج وتركه.

قال: فدخل عليه رجلٌ يُقال له: الموت الأسود، فخَنقه ثم خرج وهو يقول: والله ما رأيتُ شيئاً ألينَ من حَلْقه، ولقد خنقتُه حتى رأيتُ نَفَسه يَتردَّدُ في جسده كنَفَس

الجانّ، يعني الحيّة[١].

قلت: وعامة الرّواة على خلاف ما ذكر الطبري، فإنهم أجمعوا على أن عثمان قُتِل قتلاً ولم يُخْنَق.

قال هشام: وجعل الغافقيُّ يَضرب برجله رأسَ عثمان، وهو مُلقى إلى جانب المصحف.

وقال جدّي رحمه الله في «التّلقيح»[٢]: واختلفوا في قاتله؛ فقيل: قتله الأسود التُّجيبي من أهل مصر، وقيل: جبلة بن الأيهم من مصر، وقيل: قتله سُودان بن رومان المرادي، وقيل: وَجَأه محمد بن أبي بكر بمِشْقَص، ثم دَفّف عليه التُّجيبي ومحمد بن أبي حُذيفة، فضرباه بأسيافِهما حتى أثبتاه، وكان صائماً.

قلت: محمد بن أبي حذيفة لم يشهد قتلَ عثمان، وعامّة المؤرّخين على أنه كان بمصر.

وقال هشام: ودخل عُمَيْر بنُ ضابىء فنَزا على عثمان، فكسر ضِلعاً من أضلاعه، وقال: سجنتَ أبي ضابئاً حتى مات في السِّجن.

وكان السّببُ في حبسِ عثمان ضابىءَ بن الحارث؛ أنه استعار كلباً من قومٍ من الأنصار في زمان الوليد بن عُقبة يُدعى قُرحان لصيد الظَّبي، فمنعه منهم، فأخذوه قَهراً، فقال: [من الطويل]

وكلبُكم لا تتركوا فهو أمّكم ... فإن عُقوقَ الأُمَّهات كبيرُ

من أبيات، فاستعدَوْا عليه عثمان، فَعَزَّرهُ وحبسه حتى مات في السّجن، وهذا مما أُخذ أيضاً على عثمان.

وعمير هو القائل[٣]: [من الطويل]

هَمَمْتُ ولم أفعلْ وكِدتُ وليتَني ... تركتُ على عثمانَ تَبكي حَلائلُهْ

---

(١) الخبران في الطبري ٤/ ٣٨١-٣٨٤.

(٢) ص ١١٠.

(٣) الذي في المصادر أن القائل ضابىء البرجمي أبو عمير، ورواية البيت السابق في المصادر: لا تتركوه وأمكم، وفيه فحش كبير

وقائلةٍ قد مات في السِّجنِ ضابىءٌ ألا مَن لخَصْمٍ لا يَجدْ مَن يُجادِلُهْ

وقيل: إن عُميراً أنفذ السيفَ في بطن عثمان[١].

وقال الواقدي: أقبل عُمير بن ضابىء والكُميل بن زياد ليقتلا عثمان، ثم نكصا، وسوف نذكر قتلَ الحجاج عمير بن ضابىء والكُميل بنَ زياد في أيام الحجاج.

وقال أبو اليقظان: ولما انتهبوا ما في دار عثمان أخذوا مُلاءَةَ نائلة، فتنحَّت فقال: ويح أم هذه ما أتمَّ عَجيزَتَها، فوَثب عليه غلامٌ لعثمان فقتله.

وذكره الطبري فقال: الذي أخذ مُلاءة نائلة اسمُه كُلثوم بن تُجيب[٢].

وحكى سيف، عن مُجالد، عن الشعبي، عن المغيرة بن شُعبة قال: قُلْتُ لعلي: إن هذا مقتولٌ، وإنه إن قُتِل وأنت بالمدينة ألحدوا فيك، فاخرجْ فكُن في موضع كذا وكذا، فإنك إنْ فعلتَ ذلك وكنتَ في غارٍ باليمن طلبك الناس، قال: فأبى حتى قُتل عثمان، وألزموه دمَه.

وقال سيف بهذا الإسناد: لما أُغشي على عثمان جَرُّوا برجله، وصاحت نائلة وبناتُه، وجاء التُجيبي مخترِطاً سيفَه ليَضَعه في بطنه فوَقَتْه نائلة، فقطع إصبعَها، وأتكأ بالسيف على صدره فأخرجه من ظهره.

وقال الطبري بإسناده عن يزيد بن أبي حبيب: وَلِيَ قتلَ عثمان نهران الأصبَحيّ[٣].

وقال البلاذري: قال عليّ للحسن والحسين: اذهبا بسيفكما فقِفا على الباب، فلا يَصلُ أحدٌ إلى عثمان، وبعث الصحابة أولادهم، فرُمي الحسنُ بسهم فشُجَّ في وَجهه، وشُجَّ قَنْبَر ومحمد بن طلحة، فخاف محمد بن أبي بكر أن ترى بنو هاشم الدماءَ على وجهِ الحسن والحسين فيَكشفوا الناس عن عثمان، فقال: تَسوَّروا عليه الجدار، فتَسوَّروا فقَتلوه، ولم يكن عنده أحدٌ سوى نائلة، فصرخت فلم يَسمع الناسُ صُراخَها من شدَّةِ الجَلَبة والصِّياح، فصعِدت إلى السَّطح وصاحت: قُتل أميرُ المؤمنين، وبنو

(١) طبقات فحول الشعراء ١٧٣ـ١٧٥ (والمصادر فيه)، وتاريخ الطبري ٤/ ٤٠٢ـ٤٠٣، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٣٩١.

(٣) تاريخ الطبري ٤/ ٣٩٤ وما قبله منه.

هاشم على الباب لا يَعلمون.

وبلغ عليّاً قتلُه، فأقبل إلى الباب، وقال للحسن والحسين وقنبر وابن الزّبير وابن طلحة: وَيحكم، كيف قُتل وأنتم بالباب، وشتمَهم، فقال له ابن طلحة: وكان أمرُ الله قَدراً مَقدوراً، فدخل وقال لنائلة: مَن قَتَله؟ فقالت: دخل محمد بن أبي بكر، فقال له عثمان: كذا وكذا، فاستَرْختْ يدُ محمد، وكان معه رجلان فقتلاه، فجلس علي والحسن والحسين وابن الزبير وابن طلحة يَبكون، وذهب المصريّون إلى بيت المال فانتَهبوه، فلم يَجدوا فيه سوى غِرارتين[١].

واختلفوا في الوقت الذي قُتل فيه على أقوال؛

أحدها ذكره ابن سعد عن الواقدي فقال: حدثنا محمد بن عمر بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن عثمان قال: بُويع عثمان بالخلافة أوَّلَ يوم من المحرّم سنة أربعٍ وعشرين، وقُتل يوم الجمعة لثماني عشرة ليلةً خلت من ذي الحجّة سنة ستّ وثلاثين بعد العصر، وكان صائماً، ودُفن ليلةَ السبتِ بين المغرب والعشاء في حُشّ كوكب بالبقيع، فهو مقبرة بني أمية اليوم، وكانت خلافتُه اثنتي عشرة سنة غير اثني عشر يوماً، وقُتل وهو ابنُ اثنتين وثمانين سنة، قال: وكان أبو معشر يقول: قُتِل وهو ابن خمس وسبعين سنة[٢].

قلت: وقول الواقدي سنة ست وثلاثين وَهم، وقد حكاه الطبري[٣]، والأصحّ سنة خمس وثلاثين.

وقال ابن سعد بإسناده عن الربيع بن مالك بن أبي عامر، عن أبيه قال: كان الناس يَتَوَقَّون أن يَدفنوا مَوتاهم في حُشِّ كَوكب، فكان عثمان بن عفان يقول: يوشكُ أن يَهلك رجلٌ صالح فيُدْفَنَ هناك، فتتأسّى به الناس، قال مالك بن أبي عامر: فكان عثمان بن عفان أوّلَ مَن دُفن هناك[٤].

قال الجوهري: الحَشّ ـ بفتح الحاء وضمّها ـ البُستان، قال: والحشّ أيضاً

(١) أنساب الأشراف ٥/ ١٩٦ـ١٩٧ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٣ .

(٣) في تاريخه ٤/ ٤١٥ .

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٣ .

المخرج؛ لأنهم كانوا يَقضون حوائجَهم في البساتين[١].

وروي عن أبي بَشير العابدي قال: نُبِذ عثمان ثلاثةَ أيام لا يُدفن، ثم إن حكيم بن حِزام وجُبَير بنَ مُطعم النَّوفلي كلّما علياً عليه السلام في دَفنِه، وطلبا أن يَأذن لأهله في ذلك، فأذِن لهم، فلما سمع القوم ذلك قَعدوا له على الطريق بالحجارة، وخرجوا به يُريدون حُشَّ كوكب؛ مكاناً كانت اليهود تَدفن فيه موتاهم، فلما خرجوا به رَجموا سَريره بالحجارة، وهمُّوا بطَرْحه، وبلغ علياً، فأرسل إلى الناس يَعزم عليهم ليَكُفُّوا عنه، فانطلقوا به، فدفنوه في حُشّ كوكب، فلما ظهر معاوية بن أبي سفيان على الناس أمر بذلك الحائط فهُدِم حتى أفضى به إلى البَقيع، وأمر الناسَ أن يَدفنوا موتاهم حول قبره، حتى اتّصل ذلك بمقابر المسلمين.

وروى الطبري عن أبي كَرِب ـ وكان عاملَ عثمان على بيت المال ـ قال: دُفن عثمان فيما بين العشاء والعَتَمة، ولم يكن في جنازته إلا مروان بن الحكم، وثلاثةٌ من مَواليه، وابنتُه الخامسة، فرفعت ابنتُه صوتَها تَندُبه، فأخذ الناسُ الحجارة وقالوا: نَعثَل نعثل، فكادت أن تُرجَم، فدفنوه في الحائط.

وحكى الطبري عن سيف: أن مروان بن الحكم حضر جنازته وصلّى عليه[٢]، وهو وهم، لم يحضر مروان جنازته، كان مجروحاً مُثْخَناً، وهرب إلى مكة.

قال الواقدي: الثّبتُ عندنا أنه صلى عليه جُبير بن مطعم.

قال الواقدي بإسناده عن مَخرَمة بن سليمان الوالبي قال: قُتل عثمان يوم الجمعة ضَحوةً، فلم يَقدروا على دفنه، وأرسلت نائلة بنتُ الفَرافصة إلى حُويطب بن عبد العُزَّى، وجُبير بن مُطعم، وأبي جَهم بن حُذيفة، وحَكيم بن حزام، ونِيار الأسلمي فقالوا: إنا لا نَقدر أن نَخرُجَ به نهاراً، هؤلاء المصريون على الباب، فأمْهِلوه إلى ما بين المغرب والعشاء.

فدخل القوم فحِيل بينهم وبينه، فقال أبو جَهم: والله لا يَحول بيني وبينه أحدٌ إلا متُّ

(١) الصحاح: (حش).

(٢) تاريخ الطبري ٤/ ٤١٥ وما سلف من الأخبار فيه ٤١٢ .

دونه، احملوه، فحملوه حتى انتهَوا إلى البقيع، وتبعتهم نائلة وبيدها سراج، فانتهوا به إلى نَخَلات عليها حائط، فرَقَوا الجدار، ثم دفنوه في تلك النّخلات، وصلى عليه جُبير ابن مُطعِم، وذهبت نائلة تتكلّم فزَبَرها القوم وقالوا: إنا نَخاف عليك من هؤلاء السّفهاء، فرجعت إلى منزلها.

وقال الواقدي بإسناده عن عبد الله بن ساعدة قال: لَبث عثمان بعدما قُتل لَيلتين لا يستطيعون دفنَه، [فلما وُضع ليُصَلّى عليه جاء نفرٌ من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه] فقال أبو جهم: ادفنوه، فقد صلّى الله عليه وملائكتُه، فقال المصريون: لا والله، لا يُدفَن في مقابر المسلمين أبداً، فدُفِن في حُشّ كوكب، فلما ملكت بنو أمية أدخلوا ذلك الحشّ في البقيع، فصار مقبرة بني أمية.

وقال الواقدي: حدثني عبد الله بن موسى المخزومي قال: لما قُتل عثمان أرادوا حزَّ رأسِه، فوَقعت عليه نائلة وأمُّ البنين، وصِحْنَ وضربْنَ الوجوه وخَرقن الثياب، فقال ابنُ عُدَيْس: اتركوه، فأُخرج عثمان إلى البقيع، ولم يُغسل، وأرادوا أن يُصلّوا عليه في موضع الجنائز فأبَت الأنصار[1].

وفي رواية ابن سعد: فحملوه على باب، وإن رأسه ليَقْرعُ الباب لإسراعهم به من شدَّة الخوف[2].

وقال سيف عن أشياخه: ولم يُغسل عثمان ولا غُلاماه اللذان قُتلا معه، وهما نجيح وصبيح، فأمّا عثمان فدُفن، وأمّا الغلامان فجرُّوا برجلَيهما، وألقوهما على البَلاط فأكلتهما الكلاب.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن نِيار الأسلمي، عن أبيه قال: لما حجّ معاوية نظر إلى بيوت أسلم شَوارع في السوق فقال: أَظلِموا بيوتَهم أظلم الله عليهم قبورَهم قتلةَ عثمان.

قال نِيار بن مُكرم: فخرجتُ إليه وقلتُ: أتُظلِم عليّ بيتي وقد حملتُ عُثمان وقبرتُه

(١) الأخبار السالفة في الطبري ٤/ ٤١٣ـ٤١٤ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٥ .

وصلّيتُ عليه، فعرفه معاوية فقال: اقطَعوا البناء، لا تبنوا على وجه داره، ثم دعاني خالياً فقال: متى حملتُموه، ومتى قبرتموه، ومن صلى عليه؟ قلت: حملناه ليلةَ السبت بين المغرب والعشاء، فكنتُ أنا وجُبير بن مُطعم، وحَكيم بن حزام، وأبو جهم بن حُذَيفة العَدَوي، وتقدّم جُبير بن مُطعم فصلّى عليه، فصدّقه معاوية، وكانوا هم الذين نزلوا في حُفرَته[١].

واختلفوا فيمن صلّى عليه؛ فقال جدي رحمه الله في «التلقيح»[٢] قيل: الزبير، وقيل: حكيم بن حِزام، وقيل: جبير بن مطعم.

قلت: والأشهر جُبير بن مُطعم، قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن يوسف قال: خرجت نائلة بنتُ الفرافصة تلك الليلة، وقد شقّت جَيبَها قُبُلاً ودُبُراً، ومعها سراج، وهي تَصيح: وا أمير المؤمنيناه، فقال لها جُبير بن مُطعم: أَطفئي السّراج فلا يُفطَنُ بنا، فأَطفأتْه، وانتَهوا إلى البقيع، فصلّى عليه جُبير بن مُطعم، وخلفه: حكيم بن حزام، وأبو جهم بن حُذيفة، ونيار بن مكرم الأسلمي، ونائلة وأمّ البنين بنت عُيينة امرأتا عثمان، ونزل في حُفرته نيار بن مكرم، وأبو جهم، وجُبير، وكان حكيم بن حزام وأمّ البنين يُدَلّونه على الرّجال حتى ألحدوا له، وبَنَوا عليه، وطيَّنوا قبرَه، وتفرَّقوا.

وقال ابن سعد: وقد قيل: إنه صلى عليه سبعة عشر رجلاً، والأول أثبت؛ أنه صلّى عليه أربعة[٣].

وقال ابن سعد: إن الزّبير لم يَشهد قتلَ عثمان، وسنذكره.

والقول الثاني: أنه قُتل يوم الأربعاء بعد العصر، ودُفن يوم السبت بعد العصر، قاله هشام.

والثالث: أنه قُتل لثلاث عشرة خلت من ذي الحجّة، والأوّل أشهر.

وقال الموفّق رحمه الله في «الأنساب»: قُتل في ذي الحجّة أو في المحَرَّم[٤].

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٤.

(٢) ص ١١٠.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٤ـ٧٥.

(٤) التبيين ١٧٩.

وقال ابن سعد بإسناده عن مُعتمر بن سليمان قال: سمعتُ أبي يقول: حدثنا أبو عثمان: أن عثمان قُتل في أول أيام التّشريق[١].

وقال جدّي رحمه الله في «التلقيح»[٢]: قُتل عثمان يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة، وقيل: لثمان عشرة مضت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل: أول سنة ستّ وثلاثين، وأُخفي قبرُه.

وقال البخاري بإسناده، عن أبي موسى الأشعري قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً إلى حائطٍ من حَوائط المدينة لحاجته، وخرجتُ في إثْره، فلما دخل الحائط جلستُ على بابه وقلتُ: لأكونَنّ اليوم بَوَّاب رسول الله ﷺ، فذهب فقضى حاجتَه، وجلس على قُفِّ البئر، وكشف عن ساقيه، ودَلّاهما في البئر، فجاء أبو بكر يَستأذن، فقلتُ: يا رسول الله، إن أبا بكر يَستأذن عليك، فقال: «ائذنْ له وبَشِّره بالجنة» فدخل، فجلس عن يمينِ رسول الله ﷺ، وفعل كما فعلَ رسول الله ﷺ، كشف عن ساقَيه، ودلّاهما في البئر، وجاء عمر يَستأذن، فقال: «ائذنْ له وبَشِّره بالجنة» فدخل، فجلس على القُفّ، وفعل كما فعل أبو بكر؛ كشف عن ساقيه ودَلّاهما في البئر، فامتلأ القُفُّ، فلم يكن فيه مجلس، فجاء عثمان يَستأذن فقال: «ائذَنْ له وبَشّره بالجنة مع بَلاءٍ أو بَلوى تُصيبُه» فدخل فلم يَجد معهم مَجلساً، فتحوّل حتى جاء مُقابِلَهم على شَفير البئر، فكشف عن ساقَيه، ثم دَلّاهما في البئر.

قال ابنُ المسيّب: فأوَّلتُ ذلك قبورَهم، اجتمعت ها هنا وانفرد عثمان عنهم. أخرجاه في «الصحيحين»[٣].

واختلفوا في سِنّه على أقوال:

أحدها: اثنان وثمانون سنة، وقد حكيناه عن الواقدي.

والثاني: خمس وسبعون، وقد حكيناه عن أبي معشر.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٥.

(٢) ص ١١٠.

(٣) صحيح البخاري (٧٠٩٧)، وصحيح مسلم (٢٤٠٣).

والثالث: أنه كان ابنَ تسعين سنة.

والرابع: ابنَ ثمان وثمانين سنة.

والخامس: ابن ستة وثمانين سنة، قاله قتادة.

والسادس: ابنَ ثلاث وستين، حكاه سيف عن أشياخه.

وقد حكى الطبري هذه الأقوال[١].

وقال جدي رحمه الله في «التلقيح»[٢]: وفي سنه ثلاثة أقوال:

أحدها: تسعون سنة، والثاني: ثمان وثمانون، والثالث: اثنان وثمانون، وقيل: لم يَبلغ الثمانين.

وقال في «الصفوة»[٣]: خمسة وتِسعون.

واختلفوا في مبلغ خلافته، فحكَينا عن الواقدي أنه أقام اثنتي عشرة سنة إلّا اثني عشر يوماً.

والثاني: اثنتي عشرة سنة إلا إحدى عشرة ليلة، قاله أبو معشر ويعقوب بن شيبة.

ذكر ما نُقل عن الصحابة في قتل عثمان:

قال ابن سعد بإسناده عن ابن عباس قال: لو أجمع الناس على قتل عثمان لرُموا بالحجارة كما رُمي قومُ لُوط.

وفي رواية ابن سعد عن ابن عباس قال: لو لم يَطلب الناس بدم عثمان لرُمُوا بالحجارة من السماء.

وقال ابن سعد بإسناده عن عبد الله بن عُكَيم قال: لا أُعينُ على دم خليفة أبداً بعد عثمان، قال: فقيل له: يا أبا مَعبد، أوَأعنتَ على دمه؟ فقال: إني لأعُدُّ ذكر مساوئه عوناً على دمه.

---

(١) في تاريخه ٤/ ٤١٧ـ٤١٨.

(٢) ص ١١٠.

(٣) ١/ ٣٠٥.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي قِلابة قال: لما بلغ ثُمامةَ بن عديّ قتلُ عثمان ـ وكان أميراً على صنعاء، وكانت له صحبة، وهو من قريش ـ بكى فطال بُكاؤه، ثم قال: هذا حين انتُزِعتْ خلافةُ النبوَّةِ عن أمة محمد ﷺ، وصار مُلكاً وجَبريَّة، مَن غلب على شيءٍ أكله.

وحكى ابن سعد عن أبي أحمد السَّاعدي ـ وكان قد شهد بدراً ـ أنه قال لما قُتل عثمان: اللهمَّ إن لك عليَّ أن لا أفعلَ كذا وكذا، ولا أضحك حتى ألقاك.

وكان أبو هريرة إذا ذكر ما فعلوا بعثمان يبكي وينتحب، يقول: هاه هاه، وكان معه يومَ الدّار.

وروى ابن سعد عن عبد الله بن سلام أنه قال يوم قُتل عثمان: هَلكتِ العرب، قيل له: فما تَجدون صفةَ عثمان في كُتبكم؟ فقال: نَجِده أميراً يوم القيامة على القاتل والخاذِل، وفي رواية عنه: يُحكَّم في القاتل والخاذِل.

وقال ابن سعد بإسناده عن طاووس، عن ابن عباس قال: سمعتُ علياً يقول حين قُتل عثمان: والله ما قَتلتُ ولا أَمرتُ، ولكن غُلبتُ، قالها ثلاثاً.

وفي رواية ابن أبي ليلى عنه قال: رأيتُ علياً عند أحجار الزّيت رافعاً ضَبْعَيْه يقول: اللهمَّ إني أبرأُ إليك من أمر عثمان.

وكان عليّ يقول: إنما وَهنتُ يوم قُتل عثمان.

وقال ابن سعد بإسناده عن مَسروق، عن عائشة قالت حين قُتل عثمان: تركتموه كالثّوب النقيِّ من الدَّنَس، ثم قَرّبتموه، تَذبحونه كما يُذبَح الكَبش، هلّا كان هذا قبل هذا؟ فقال لها مسروق: هذا عَملُك، أنت كتبتِ إلى الناس تَأمرينهم بالخروج إليه، فقالت: لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون، ما كتبتُ إليهم بسوداءَ في بيضاء حتى جلستُ مجلسي هذا. قال الأعمش: فكانوا يرون أنه كُتِبَ على لسانها.

وقال عُروة: كانوا يتَّهمونها أنها كتبتْ إلى مصر والعراق، وهذا معنى قولِ مروان لها: حرَّق قيسٌ عليَّ البلاد.

وروى ابن سعد عن عمرو بن عاصم الكِلابي، عن أبي الأشهب، عن الحسن قال:

لما أُدرِكوا بالعُقوبة ـ يعني قتلةَ عثمان ـ قال الحسن: أُخِذ الفاسق ابنُ أبي بكر ـ قال أبو الأشهب: وكان لا يُسمّيه إلا الفاسق، ولا يُسمّيه باسمه ـ قال: أُخِذ فجُعِل في جَوف حمار، ثم أُحرق عليه.

وقال ابن سعد بإسناده عن أبي المَليح، عن ابن سلام قال: ما قُتلَ نبيٌّ قطّ إلا قُتل به سبعون ألفاً من أُمّته، ولا قُتل خليفةٌ إلا قُتل به خمسةٌ وثلاثون ألفاً[١].

وذكر الموفَّق في «الأنساب» وقال: كان مع عثمان في الدار: عبد الله بن عمر، وعبد الله بن سلام، والحسن بن علي، وأبو هريرة، وزيد بن ثابت، ومحمد بن حاطِب، ومروان بن الحكم، والمغيرة بن الأخنَس وغيرهم[٢]، قُتل عثمان والمغيرة بن الأخنس وغلامٌ لعثمان، فأُغلق البابُ على ثلاثة مقتولين.

قلت: لم يذكر ابنُ سعد وهشام المغيرةَ بن الأخنَس.

قال الموفَّق: رأى رجلٌ من أهل العَسكرِ الذين حصروا عثمان ليلةً في منامه مراجلَ يَغلي فيها الماء، فقال: ما هذه؟ فقيل: لقاتل المغيرة بن الأخنس، فأصبح الرجل فَزِعاً وقال: والله لا قاتلتُ بعدها، ولَزِم المسجد يُصلّي فيه، وكان في مَوضعٍ يُشاهد القتال، فكان يَرى الناس كلّما دَنَوا من باب الدار التي فيها عثمان خرج إليهم رجلٌ فطَردَهم، فجعل يَغِيظُه ذلك ويقول: ألا رجلٌ يَكفي الناسَ أمرَ هذا الخارج عليهم، فلما طال ذلك عليه أخذ سيفَه، وخرج من المسجد، فحَمل على الخارج من الدار، فضَربه فقتله، ثم سأل عنه فقالوا: هذا المغيرة بنُ الأخنس[٣].

ذكر ما رُثي به من الأشعار:

قد رثاه خلقٌ كثير، منهم حسان بن ثابت، قال في بعض ما رَثى به عثمان بنَ عفان: [من البسيط]

ضَحَّوا بأشْمَطَ عُنوانُ السُّجود به ... يُقَطِّع الليلَ تَسبيحاً وقرآنا

(١) الأخبار السالفة في طبقات ابن سعد ٣/ ٧٥ـ٧٩.

(٢) التبيين ١٨٠.

(٣) التبيين ١٨٠.

مَن سرّه الموتُ صِرفاً لا مِزاجَ له ... فلْيَأتِ مَأسَدَةً في دار عُثمانا
صبراً فِدى لكمُ أمّي وما وَلَدتْ ... قد يَنفعُ الصَّبرُ في المكروه أحيانا
وقد رضيتُ بأهل الشام نافِرةً ... وبالأمير وبالإخوان إخوانا
إني لمنهم وإن غابوا وإن شَهِدوا ... ما دُمتُ حيّاً وما سُمِّيتُ حسّانا
لتَسمَعنَّ ضجيجاً في ديارِهم ... الله أكبر يا ثاراتِ عُثمانا[1]

وقال: [من الخفيف]

وعليٌّ في بيته يسألُ النا ... سَ رُويداً وعنده الأخبارُ
باسط بالذي يُريد ذِراعَيْـ ... ـهِ عليه سَكينةٌ ووَقارُ
يَنظُر الأمرَ كي يَصيرَ إليه ... كالذي سُبِّبت له الأقدارُ
قد رأى كثرةَ الكلام قبيحاً ... كلُّ قولٍ يَشينُه الإكثارُ[2]

قلت: إن صحَّ عن حسّان أنه قال هذا فقد أعمى الله بصيرتَه كما أعمى بصرَه، لأنه ذَمَّ أهلَه الأنصار، ونَسبهم إلى خِذلان عثمان في أمرٍ أمضاه الله وقدّره، ونسب أمير المؤمنين إلى أمرٍ قبيحٍ ذَميم، ويكفي حساناً أنه نزل فيه قولُه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١١]، وقد ذكرنا قصّتَه في حديث الإفك، وإنما جرَّأه على ذلك لأن عثمان أعطاه مئةَ ألف درهم من بيت المال، وقيل أكثر من ذلك، وكان ذلك مما أُخذ على عثمان، وقد ذكرناه.

وأما قوله: لتسمعنّ ضجيجاً في ديارهم، يَتوعَّد المهاجرين والأنصار.

وقد أكثرت الشعراء في عثمان، وقال الشعبي: قد أكثر الشعراء في مَراثي عثمان، فلم أسمع أحسنَ مما قال كعب بن مالك من أبيات: [من الطويل]

فكفَّ يدَيهِ ثم أغلق بابَه ... وأيقن أن الله ليس بغافلِ

(١) ديوانه ١/ ٩٦، وذكر بعض أبياتها ابن قتيبة في المعارف ١٩٧، وابن عبد ربه في العقد ٤/ ٢٩٧، والبلاذري في أنساب الأشراف ٥/ ٢٤٩، والطبري في تاريخه ٤/ ٤٢٥، وابن أعثم في الفتوح ٢/ ٢٤٠-٢٤١، والمسعودي في مروج الذهب ٤/ ٢٨٤، وابن عبد البر في الاستيعاب (١٨٧٨).

(٢) ليست في ديوانه، ومنها بيتان في الفتوح لابن أعثم ٢/ ٢٣٩، ونسبها ابن عبد ربه في العقد ٤/ ٢٩٧ إلى رجل من أهل الشام، وانظر مروج الذهب ٤/ ٢٨٤.

وقال لأهل الدار لا تقتلوهم عفا الله عن كلِّ امرءٍ لم يُقاتلِ
فكيف رأيتَ الله ألقى عليهم العداواةَ والبَغْضاءَ بعد التَّواصُلِ
وكيف رأيتَ الخير أدبرَ بعده عن الناسِ إدبار النَّعام الجوافِلِ

ويقال هي لحسان بن ثابت، وقيل: للوليد بن عقبة[١].

ذكر ما خلّف عثمان من المال:

حكى ابن سعد عن الواقدي بإسناده، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: كان لعثمان بن عفان عند خازنه يوم قُتل ثلاثون ألفَ ألف درهم وخمس مئة ألف درهم وخمسون ومئة ألف دينار فانتُهبت وذهبت، وترك ألف بعير بالرَّبذَة، وترك صَدَقاتٍ كان يتصدق بها ببئر أرِيس وخيبر ووادي القرى، قيمته مئتي ألف دينار[٢].

وقال هشام: ترك عثمان ألفَ ألفِ درهم، وقيل: مئة ألف ألف درهم، وخيلاً بالحِمى، وأغناماً لا تُحصى، وعشرةَ آلاف بعير، فنُهب الجميع.

ذِكر عمّال عثمان رضي الله عنه:

قال الواقدي بإسناده عن عبد الرحمن بن أبي الزّناد قال: قُتِل عثمان وعُمَّاله على الأمصار: على مكة عبد الله بن الحَضْرميّ، وعلى الطّائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يَعلى بن أميّة، وعلى الجَنَد عبد الله بن [أبي] ربيعة، وعلى البصرة عبد الله ابن عامر بن كُرَيز، وعلى الكوفة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سَرْح، غلبه عليها محمد بن أبي حُذيفة فأخرجه منها، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان، وعلى حمص عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وعلى قِنّسرين حُبيب بن مَسْلَمة، وعلى الأردن أبو الأعور السُّلَمي، وعلى فلسطين عَلقمة بن حكيم الكِناني، وعلى البحر عبد الله بن قيس الفَزاري، وكلُّ هؤلاء الذين بالشام من قِبل معاوية.

وحكى سيف بن عمر، عن أبي حارثة وأبي عثمان قالا: مات عثمان وعلى الكوفة

(١) ديوان كعب ٢٠٧، والأغاني ١٦/ ٢٣٣، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٠١، والاستيعاب (١٨٧٨)، وتاريخ دمشق ٥٤٧ـ٥٤٨، والتبيين ١٨٠.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٧٢ـ٧٣.

أبو موسى على صلاتها، وعلى خراج السَّواد جابر بن فُلان المزنيّ ـ وهو صاحب المُسَنَّاة إلى جانب الكوفة ـ وعلى حَربها القعقاع بن عمرو، وعلى قرقيسياء جرير بن عبد الله، وعلى أذربيجان الأشعث بن قيس، وعلى حُلوان عتبة بن النّهّاس، وعلى الرّي سعيد بن قيس، وعلى أصبهان السّائب بن الأقرع، وكان على قضاء عثمان يومئذ زيد بن ثابت[١].

وقال جدي في «المنتظم»[٢]: وكان على قضاء عثمان لما مات أبو الدرداء.

قلت: وأبو الدرداء مات في سنة اثنتين وثلاثين، وقد ذكرناه.

فصل في ذكر فتوحات عثمان:

ذكر يعقوب بن سفيان وأبو مَعشر قالا: وفي العام الذي بُويع فيه عثمان وهو سنة أربع وعشرين فُتحت الرّي، وفي عام خمسٍ وعشرين فُتحت أرمينية، وفي سنة ست وعشرين فُتحت الإسكندرية، وفي سنة سبع وعشرين فُتحت إفريقية، وفي سنة ثمان وعشرين فُتحت إصطَخر، وفي سنة تسع وعشرين فُتحت فارس الأخيرة، وفي سنة ثلاثين فتحت إصطخر الثانية، وفي سنة إحدى وثلاثين كانت غزاة البحر، وفي سنة اثنتين كانت غزاة المضيق، وفي سنة ثلاث وثلاثين كانت غزاة قبرس، وفي سنة أربع وثلاثين كانت غزاة الصّواري، وفي سنة خمس وثلاثين كانت ذات الخُشُب وفيها قُتل عثمان[٣]، وقد ذكرنا تفاصيل ذلك وما فيه من التقديم والتأخير.

ذكر إرسال قميص عثمان رضي الله عنه إلى الشام:

روى هشام بن الكلبي، عن أبيه قال: دمُ عثمان في هذه الأمة كدم يحيى بن زكريا في بني إسرائيل، فكلُّ دمٍ يُسفَك إلى يوم القيامة فهو السّبب، كدم علي بن أبي طالب وأولاده الحسين وإخوته، ومَن قُتل يوم الجمل، وأيام صفين، وهلمّ جراً من الصحابة والتابعين وأهل البيت والخلفاء وبني أمية وغيرهم، قرناً بعد قرن وخَلَفاً بعد سلف.

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢١ـ٤٢٢.

(٢) ٤/ ٥٩.

(٣) تاريخ دمشق (عثمان) ٢٠٤.

وقال الواقدي: حدثني ربيعة بن عثمان، عن يزيد بن رُومان قال: بعثتْ نائلةُ بقميص عثمان، وعليه دمُه وأصابعُ يدِها، مع النعمان بن بشير، وكتبت كتاباً فيه: واأميرَ المؤمنيناه، بُغي عليه، وحُصِر في داره، ومُنع الماء، واحترق بابُه، ودخلوا عليه فأخذوا بلحيته، وضربوه على رأسه، وطعنوه بمشاقِصَ، وكسروا أضلاعَه، ولوَّثوا مُصحفَه بدمه، واستجار فلم يُجره أحدٌ منهم، ولعبوا برأسه بأرجُلهم، ونهبوا أمواله، واستحلوها مع دمه، ودفنّاه ليلاً ونحن نَرتقبُ القتلَ... وذكرت كلاماً طويلاً.

فلما قدم النعمان بن بشير وقَرُبَ من دمشق نشر القميصَ وعليه الدّم، وعَلّق أصابعَ نائلة، وخرج معاوية إلى لقائه ومعه الناس، وقيل: بل جلس له مَجلساً عاماً، فلما قرأ الكتاب قام قائماً، أو نزل من دابّته، وحثى التراب على رأسه، ومَزّق ثيابَه، وفعلوا بنو أمية كذلك، وارتفع البكاءُ والنّحيب، وكان يوماً عظيماً لم يُرَ في الإسلام مثلُه، ثم صَعد منبرَ جامع دمشق، وقرأ الكتاب على الناس، فازدادوا بكاءً وعويلاً، وعلَّق القميصَ والأصابع على المنبر سنة، يَنتابُه الناس من كلّ مكان، وآلى أهلُ الشام أن لا ينامون على فُرُشٍ، ولا يأكلون سميناً، ولا يَقربون النّساء حتى يَقتلوا قَتلةَ عثمان.

ذكر حاجبه وكاتبه وقاضيه ونَقش خاتمه:

قال هشام والواقدي وغيرهما: كان مروان بن الحكم كاتبه، وحُمران مولاه حاجبه، وزيد بن ثابت قاضيه، وقيل شُريح بن الحارث، والأوّل أصحّ، وفي نقش خاتمه قولان، أحدهما: آمن بالله العظيم عثمان مخلصاً، والثاني: لتَصبِرَنَّ أو لتَندَمَنّ.

ذكر أولاد عثمان رضي الله عنه وأزواجه:

قد ذكرهم علماء السِّيَر: كابن سعد، والواقدي، وهشام بن محمد والبلاذري والطبري وغيرهم.

فقال ابن سعد: كان لعثمان من الولد سوى عبد الله بن رُقَيّة: عبد الله الأصغر دَرَج، وأمُّه فاختة بنت غزوان بن جابر، ونسبها إلى قيس بن عَيْلان، قال: وعمرو، وخالد، وأبان، وعمر، ومريم الكُبرى، وأمُّهم أمّ عمرو بنت جُندب بن عمرو، أزديّة.

قال: والوليد، وسعيد، وأمّ سعيد، وأمهم فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم.

قال: وعبد الملك دَرَج، وأمُّه أمُّ البَنين بنت عُيَينة بن حِصن بن حُذيفة بن بدر الفَزاري.

قال: وعائشة، وأمّ أبان، وأمّ عَمرو، وأمُّهنّ رَمْلة بنت شَيبة بن ربيعة بن عبد شمس ابن عبد مَناف بن قُصيّ.

ومريم الصُّغرى وأمها نائلة بنت الفَرافِصَة الكلبيّة، وأمُّ البَنين لأُمّ وَلَد، وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان هذا قولُ ابنِ سعد[1].

وقال الطبري: ذكرُ أزواجه، كانت عند عُثمان: رُقيَّة وأمّ كُلثوم ابنتا رسول الله ﷺ، وَلَدت له رُقيَّة عبد الله.

قال: وكانت عنده فاخِتة بنتُ غَزوان ـ ونسبها كما نسبها ابن سعد ـ قال: ووَلدت له وَلداً فسمّاه عبد الله الأصغر هلك.

قال: وكانت عنده أمُّ عمرو ابنةُ جُندب بن عمرو، أزديّة، وَلَدتْ له عَمراً، وعُمر، وخالداً، وأباناً، ومريم، كما ذكر ابن سعد.

قال: وكانت عنده فاطمة بنت الوليد [بن عبد شمس] بن المغيرة، وَلَدت له: الوليد وسعيداً وأمّ سعيد.

قال: وأمّ البَنين بنت عُيينة بن حِصن، وَلَدت له عبدَ الملك.

قال: ونائلة بنت الفرافصة، وَلَدت له مريم. وإلى ها هنا وافق الطبريُّ ابنَ سعد في أولاد عثمان، وابن سعد شيخُ شيخِ الطبريّ؛ لأنه روى عن واحد عن ابن سعد.

ثم قال الطبري: وقال هشام: وَلدت أم البنين بنت عُيينة بن حِصن لعثمان عبد الملك وعُتبة، قال: وقال أيضاً: ولدت له نائلةُ عَنبسة.

قال الطبري: وزعم الواقدي أن لعثمان ابنة تُدعى أمّ البَنين من نائلة، وهي التي كانت عند عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان.

قال: وقُتل عثمان وعنده رَمْلة بنت شَيبة، ونائلة، وأمّ البنين بنت عُيينة، وفاختة بنت غزوان، وقيل: إنه طلق أمّ البنين وهو مَحصور.

---

(١) في الطبقات ٣/ ٥١ـ٥٢ .

قال الطبري: فهؤلاء أزواجه اللاتي كن [له] في الجاهلية والإسلام وأولاده؛ رجالهم ونساؤهم[١].

قلت: انتهى كلامُ الطبري وابن سعد في هذا الباب، فنذكرُ أقوالَ غيرهما فنقول:

ذكر هشام والواقدي والبلاذري وغيرُهم، دخل حديثُ بعضهم في حديث بعض قالوا: أما عبد الله الأكبر ابنُ رقية بنت رسول الله ﷺ فهو الذي عاش ستَّ سنين، ونَقَره ديكٌ في عينه فمات، وقد ذكرناه في سنة ستّ من الهجرة.

وأما عبدُ الله الأصغر فأمُّه فاختة بنت غَزوان، فاختة أختُ عتبة بن غزوان، وكان عبد الله مُمَدَّحاً، مَدحه الفرزدق وغيره.

وقال البلاذري: وفاطمة بنت الوليد [بن عبد شمس] بن المغيرة، زوجة عثمان، تُكنى أم عبد الله، وأمُّها أسماء بنت أبي جهل بن هشام، وأمُّها [أروى] بنت أبي العِيص ابن أمية، وأمُّها رُقيَّة بنت الحارث بن عُبيد بن مخزوم، وأمّها رُقية بنت أسد بن عبد العُزّى بن قُصيّ، وأمّها خالدة بنت هاشم بن عبد مناف بن قصي[٢].

قال: وأمّا أمُّ البنين بنت عُيينة بن حصن زوجة عثمان فاسمُها مُليكة بنت عُيينة.

قال: وأما رَملة بنت شَيبة بن ربيعة بن عبد شمس فكانت من المبايعات المهاجرات، ولها تقول هند بنتُ عُتبة بن ربيعة أمُّ معاوية، وهي ابنةُ عمِّها تهجوها لما أسلمت: [من الوافر]

عَدِمنا كلَّ صابئةٍ بوَجٍّ ومكةَ أو بأطراف الحَجُونِ
تدينُ لمعشرٍ قتلوا أباها أقتلُ أبيكِ جاءكِ باليقينِ

قال: وكان لعثمان ولد يُقال له: المغيرة من أسماء بنت أبي جهل[٣].

وذكر الزبير بن بكّار أن عثمان أولد نائلةَ بنتَ الفَرافصَة: أمَّ خالد ورُقيَّة وأروى وأمَّ أبان[٤].

---

(١) تاريخ الطبري ٤/ ٤٢٠ـ٤٢١ .

(٢) لم أجد هذا الكلام في مطبوع أنساب الأشراف، وهو بهذا السياق في طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٢ وما بين حاصرتين منه.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٥٢ـ٢٥٣ .

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخه ٤٠٥ (تراجم النساء) عن الزبير دون ذكر رقية، وانظر نسب قريش ١٠٥ .

وقال الواقدي: الثّبت عندنا أنها ما أولدها غير مريم. وقد ذكرنا أنه تزوّج نائلة في سنة ثمان وعشرين.

وقال أبو القاسم بن عساكر: روت نائلة عن عثمان الحديث، وروى عنها النعمان ابن بشير[١].

وكانت مريم أصغر بنات عثمان، وكلُّ نساء عثمان وَلَدْن له إلا أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ.

قال هشام: وكانت نائلة تحته يوم قُتل في أصحِّ الروايات، واختُلف فيما عداها، فقيل: كانت عنده رملة وفاختة وأمّ البنين، وقيل: إنه طلَّقهن وهو محصور ما عدا نائلة، وقيل: إنما طلق أمَّ البنين وقد ذكرناه.

ذكر أعيان أولاد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

منهم عمرو بن عثمان: كان أسنَّ ولد عثمان، وأعقلَهم، وأشرفَهم، وأكثرَهم عَقِباً، وبه كان عثمان يُكنى.

وقال الشيخ الموفق رحمه الله: ويقال إن عمرو بن عثمان صلّى على أبيه بعدما قُتل[٢].

ذكره ابن سعد في موضعين في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، وقال: له أحاديث، قال: وأمُّه أمُّ عمرو بنت جُندب بن عمرو بن حُمَمة بن الحارث بن رفاعة ابن سعد بن ثعلبة بن لؤي بن عامر بن غَنْم بن دُهمان بن مُنهِب بن دَوْس[٣].

وقال الوليد بن مسلم: قدم عمرو على معاوية، فأغزاه أنقرة من بلاد الروم، ففَتَحها فزوّجه ابنتَه رَمْلة بنت معاوية، وهو يومئذ خليفة، فولدت له عثمان الأكبر لا عَقِب له، وخالداً وله عقب.

وقال الوليد بن مسلم: وكان مروان قد أغرى بينه وبين معاوية، ووَثَّبه على الخلافة

---

(١) تاريخ دمشق ٤٠٤ (تراجم النساء).

(٢) التبيين ١٨١ .

(٣) طبقات ابن سعد ٧/ ١٤٩ ـ ١٥٠ ، ولم يرد في موضع آخر، وإنما ورد أخوه عقبه.

وقال: إنما نالها معاوية باسم أبيك، وتَمويهه على أهل الشام بطلَبه بدمه، وأنت أولى، ونحن أكثر عدداً من آل حرب، وجعل يُعدّد رجال بني العاص، وكانت زوجته رَمْلة بنت معاوية تسمع من وراء الحجاب.

ثم خرج مروان وعمرو إلى مكة حاجَّين أو معتمِرَيْن، وخرجت رملةُ إلى الشام، فأخبرت أباها وقالت: مازال مروان يُعَدِّدُ رجالَ بني [أبي] العاص ويُفضِّلُهم على بني حَرْب حتى عَدَّ ابنيَّ: عثمان وخالداً، فتمنيّتُ أنهما ماتا، فحَقَدها معاويةُ على مروان[١].

وحكى ابن سعد عن عَمرو بن عثمان: أنه كان يَصبغ بالسَّواد[٢].

وقال البلاذري: عاش عمرو بن عثمان إلى أيَّام الحَرَّة، وكان مع أهل المدينة حين قدم مُسلم بن عُقبة المرِّي لقتال أهلِ الحَرَّة في أيام يزيد بن معاوية، فدعا به مُسلم، وقال له: إيه يا فاسق، إذا خرج أهلُ المدينة قلتَ: أنا رجلٌ منكم، وإذا ظهر أهلُ الشام قلتَ: أنا ابنُ أمير المؤمنين، ثم التفت إلى مَن حوله وقال: هذا الخبيثُ ابنُ الطيِّب، وإنما أُتي مِن قِبَل أمّه الحمقاء، لقد بلغني أنها كانت تَجعل في فِيها خُنفساء، وتقول: حاجتُك في فمي، وفي فمها ما ساءها! ثم أمر به فضُرب بالسّياط[٣].

أسند عمرو بن عثمان بن عفان الحديث.

قال ابن سعد: روى عن أبيه، وعن أسامة بن زيد، وكان ثقةً له أحاديث[٤].

وقال أبو القاسم بنُ عساكر: وروى عنه عليّ بنُ الحسين وابنُ المسيّب وأبو الزّناد.

قال: ومما روى عنه علي بن الحسين، عن أسامةَ بن زيد، عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يَرِثُ المسلمُ الكافرَ»[٥].

قلت: وهذا الحديثُ في «الصحيحين»[٦].

---

(١) نسب قريش ١٠٩ـ١١٠، وتاريخ دمشق ٥٥/ ٣٧٢ـ٣٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠.

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٥٤.

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠.

(٥) تاريخ دمشق ٥٥/ ٣٦١.

(٦) صحيح البخاري (٦٧٦٤)، وصحيح مسلم (١٦١٤).

قلت: قد ثبت أن في أولاد عثمان بن عفان مَن اسمُه عُمر ـ بغير واو ـ وهو أخو عَمرو لأبيه وأُمِّه، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من أهل المدينة في أولاد عثمان.

قال: وروى عُمر عن أسامة بن زيد، وروى عنه الزهري.

قال: وولد عمر بن عثمان: زيداً وعاصماً لأمّ ولد. وكان لعمر دارٌ بالمدينة، وله عَقِب، وكان قليلَ الحديث، ومن ولده العَرْجيّ الشاعر[١].

وذكره البلاذري فقال: وَلد عُمر بن عثمان بن عفان: زيداً وعاصماً وأمَّ أيّوب، قال: فأما عاصم بن عمر بن عثمان فكان يُبَخَّل، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

ألا أيّـهـا الـرُّكـبـانُ سِـيـروا وأدْلِـجـوا ... فقد خاب مَن يَبغي القِرى عند عاصمِ
فـمـالـي مـن ذنـبٍ إلـيـه عـرفـتُـه ... سـوى أنـنـي قـد زُرتُـه غـيـرَ صـائـمِ[٢]

وأما زيد فتزوَّج سُكَينة بنت الحسين عليه السلام، فنهاه سليمان بن عبد الملك عنها فطلَّقها؛ لأن سليمان خطبها بعد قتل مُصعب[٣].

قلت: وهذا وهم من البلاذري؛ لأن الذي خطب سُكينة بعد قتلِ مصعب عبد الملك ابن مروان، فلم تُجِبْه لكونه قتل زوجَها مُصعباً، وقالت: أيَخطبني أبو الذِّبَّان، لما نذكر.

قال: وأما أمّ أيوب بنت عمر بن عثمان بن عفان فتزوَّجها عبد الملك بن مروان[٤].

وأما أبان بن عثمان بن عفان فذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأمُّه أم عَمرو بنت جُندب من دَوْس، وهو أخو عُمر وعَمرو ابني عثمان لأمهما وأبيهما، وأمّ عمر هي الحمقاء.

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠ ، والمعارف ٢٠٠ .

(٢) البيتان للحزين الكناني في هجاء عاصم بن عمرو بن عثمان في الأغاني ١٥/ ٣٣٩ـ٣٤٠ ، وفي هجاء عاصم بن عمر بن عمرو بن عثمان في أنساب الأشراف ٥/ ٢٦٧ـ٢٦٨ ، وفي هجاء عاصم بن عمر بن عثمان في المعارف ٢٠١ وكأن المصنف ينقل عنه.

(٣) أنساب الأشراف (١٥٨٤) (عباس)، ٥/ ٢٧١ (العظم)، وفيه أن الذي خطبها عبد الملك لا سليمان، وبذلك فلا وهم من البلاذري كما سيذكر المصنف.

(٤) لم أجده في أنساب الأشراف، وهو في المعارف ٢٠١ .

قال ابن سعد بإسناده عن محمد بن عمر، عن بعض أصحابه قال: كان يحيى بنُ الحكم بن أبي العاص بن أُميّة على المدينة عاملاً لعبد الملك بن مروان، وكان فيه حُمْق، فخرج إلى عبد الملك وافداً عليه بغير إذنه، فلما قدم عليه قال: ما أقدمك عليَّ بغير إذني؟! مَن استعملتَ على المدينة؟ قال: أبان بن عثمان، قال لا جَرَمَ، لا تَرجعُ إليها، فأقرَّ عبد الملك أباناً على المدينة، فعزل أبان عبد الله بنَ قيس بن مَخرمة عن القضاء، وولّى نوفل بن مُساحِق قضاءَ المدينة.

وأقام أبان والياً على المدينة سبعَ سنين، وحجّ بالناس سبع سنين[1]، وفي ولاية أبان تُوفّي جابر بن عبد الله ومحمد بنُ الحنفية، فصلى عليهما بالمدينة، [ثم عزل عبد الملك أباناً عن المدينة] وولاها هشام بن إسماعيل.

وروى ابن سعد عن الواقدي: أنه كان بأبان وَضَحٌ كثير، فكان يَخضب مَواضعه [من يده] ولا يَخضبه في وجهه، وكان به صَمَمٌ، وكان يُصفّر لحيتَه ورأسَه بالحِنّاء، وكان مَفلوجاً.

قال ابن سعد بإسناده عن الحجّاج بن فُرافصَة، عن رجلٍ قال: دخلتُ على أبان بن عثمان، فقال أبان: مَن قال حين يصبح: لا إله إلا الله العظيم، سبحان الله العظيم وبحمده، لا حول ولا قوَّة إلا بالله، عُوفي من كلِّ بلاءٍ يومئذ. قال: وبأبان يومئذٍ الفالِج، قال: أما إن الحديث كما حدَّثتُك؛ إلا أنه يومَ أصابني هذا لم أكن قلتُه.

قال: وقال الواقدي: أصاب أباناً الفالجُ سنةً قبل أن يَموت، وكان يُقال بالمدينة: فالج أبان، لشدّته.

قال: وتُوفّي أبان في المدينة في خلافة يزيد بن عبد الملك.

وروى أبان عن أبيه، وكان ثقةً، وله أحاديث، وكان له من الولد سعيد، وبه كان يُكنى، وأمُّه بنت عبد الله بن عامر بن كُرَيز[2].

هذا صورةُ كلام ابن سعد عن الواقدي.

---

(١) في طبقات ابن سعد ٧/ ١٥١ : وحج بالناس سنتين.

(٢) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٠ـ١٥١ .

قد ذكر أرباب السِّيَر سيرةَ أبان بن عثمان، فقالوا: شهد الجَمل مع عائشة وكان ثاني المنهزِمين.

وقال ابنُ قتيبة: وهو ابنُ الحمقاء التي كانت تَجعل الخُنفساء في فيها وتقول حاجتُك في فمي.

قال: وكان من أصحاب العاهات؛ أبرص، أصمّ، أحول، سيّىء السيرة، صاحبَ رشوة وجَورٍ في ولايته، وقد وَلي مكة والمدينة، وكان يُلقَّب بُقَيعاً، وكانت عنده أمُّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ثم خلف عليها بعدَه الحجَّاج بن يوسف[١].

وقال الموفق رحمه الله: كان أبان فقيهاً، وقد رُوي عنه الحديث، وولدُه عبد الرحمن بن أبان من خيار المسلمين، قال: وكان عبد الرحمن يَشتري أهلَ البيت فيَكسوهم ويُعتقهم، ويقول: أنتم أحرار لوجه الله، أستعينُ بكم على غَمَرات الموت، قال: فزعموا أنه صلّى يوماً في مسجده، فوجدوه مَيتاً في مُصَلّاه[٢]، وكان في سنة أربع ومئة.

وأما خالد بن عثمان فأمُّه الحمقاء أيضاً، قال البلاذري: تُوفّي في خِلافة أبيه، ويُلَقَّب كَسِيراً.

قال الواقدي: ركب بغلةً من السُّقْيا ليَدخل المدينة فيُدرِكَ صلاةَ الجمعة مع أبيه عثمان، فعثرت البغلةُ فنفَقَتْ، وكُسِر خالد، أصابه قطعٌ فهلك منه، وله عَقِب، كان عندهم مصحف عثمان الذي دَمُه عليه[٣].

وأما سعيد بن عثمان فكُنيتُه أبو عثمان، وذكره ابن سعد في الطبقة الأولى من التابعين من أهل المدينة، قال: وأمُّه فاطمة بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مَخزوم، وأمُّها أسماء بنت أبي جهل بن هشام، وكان سعيد قليلَ الحديث[٤]. هذه صورة كلام ابن سعد.

---

(١) المعارف ٢٠١ و٥٧٨ ، وانظر أنساب الأشراف ٥/ ٢٧٦ـ٢٧٧ .

(٢) التبيين ١٨٢ .

(٣) أنساب الأشراف ٥/ ٢٧١ .

(٤) طبقات ابن سعد ٧/ ١٥٢ .

وقال الواقدي: ولّاه معاوية بعضَ خُراسان، ففتح سَمَرقند، وأُصيبت عينُه بها، وفتح بُخارى، وكان يُبَخَّل، فعزله معاوية عن خُراسان.

قال البلاذري: إنما عَزله معاوية عن خُراسان لأنه طلب الخِلافة.

ولما بايع معاوية لابنِه يزيد بلغ صبيانَ المدينة، فجعلوا يقولون: [من الرجز]

والله لا يَـنـالُـهـا يـزيـدُ

حـتـى يـنـالَ رأسَـه الـحـديـدُ

إن الأمـيـرَ بـعـده سـعـيـدُ

وبلغ معاوية، فاستقدمه فقال: يا ابن أخي، ما شيءٌ يَقوله صبيانُ أهلِ المدينة؟ فقال له: يا معاوية، وما تُنكر من ذلك؟ والله إن أبي لخيرٌ من أبي يزيد، وإن أمّي لخيرٌ من أمه، وإني لخيرٌ منه، وقد استعملناك فما عَزلناك، ووَصَلْناك فما قطعناك، وصار أمرُنا بيدك.

فولاه معاوية بعض خُراسان ليَشغَلَه عنه، ثم عزله وحبسه خوفاً منه[١].

وقال البخاري: غزا سعيدُ بن عثمان ما وراء النهر.

وقال أبو أحمد الحاكم: فتح سعيد فُتوحاً كثيرة، وأُصيبت عينُه مع الأحنف بن قيس.

وقال خليفة: عزل معاويةُ عبيد الله بنَ زياد عن خراسان في سنة ست وخمسين، ووَلّاها سعيد بنَ عثمان، فغزا سعيد ومعه المهلّب بن أبي صُفرة، وطلحة الطّلحات، وأوس بن ثَعْلبة من بني تَيْم اللات، وربيعة بن عَسّال اليَربوعي، فنازل سَمَرقَنْد، فخرجوا إليه فقاتلوه، فألجأهم إلى المدينة، فصالحوه وأعطَوْه رهائن، ثم عَزله معاوية في سنة سبعٍ وخمسين، وولاها عُبيد الله بن زياد[٢].

وقدم سعيد المدينة، ومعه الرَّهائن من أولاد الصُّغد، فأخذ كِسوتَهم ومناطِقَهم،

(١) أنساب الأشراف ٥/ ٢٧٣ـ٢٧٤ .

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٣١٢ـ٣١٣ (خ)، وانظر التاريخ الكبير ٣/ ٥٠٣ ، وتاريخ خليفة ٢٢٤ .

فدفعها إلى غِلمانه، وألبسهم جِباب الصُّوف، وكلَّفهم العملَ الصَّعب والسواني، وكانوا من أولاد الملوك، فاستعملهم يوماً في حائطٍ له، فقتلوه بالمَساحي، وطُلِبوا فقتلوا نفوسهم.

وهل قُتل قبل وفاة معاوية أو بعده؟ فيه قولان.

وذكر أبو الفرج الأصبهاني عن العُتبي قال: لما قُتل سعيد قالت أمُّه: أشتهي مَن يَرثيه بما في نفسي، فقال عبد الرحمن بن أرطاة بن سَيْحان: [من مجزوء الكامل]

إن كنتِ باكيةً فتًى ... فابكي هُبِلتِ على سعيدِ
فارقتَ أهلَك بغتةً ... وجلبتَ حتفَك من بعيدِ
أذْرِي دموعَكِ والدِّما ... ء على الشّهيد ابنِ الشهيدِ

فقالت: هذا والله الذي كان في نفسي، ووصَلتْه[1].

وأما الوليد بن عثمان بن عفان فأمُّه فاطمة بنت الوليد بن المغيرة المخزومي، وهو أخو سعيد لأمّه وأبيه.

قال أبو اليقظان: كان صاحب شراب، قُتل أبوه عثمان وهو في حَجَلةٍ سكران، عليه المصبّغات من الأحمر والأصفر والأخضر، وقد خَلّق رأسَه ولحيتَه.

وذكره المدائني وقال: كان للوليد هذا ولدٌ اسمه عبد الله بن الوليد، يسبُّ علي بنَ أبي طالب، وأمُّه ابنةُ الزبير بن العوام، وهو الذي قام إلى هشام بن عبد الملك يومَ عَرَفة وقال له: لم لا تَسبُّ أبا تُراب؟! فزَبَره هشام وقال له: اسكت، ما أتَينا إلى ها هنا لهذا[2].

وأما عبد الملك بن عثمان فمات في حياة أبيه وهو غلام.

وأما بناتُ عثمان بن عفان فسبع: مريم الكُبرى، وأمُّها أمُّ عمرو بنت جُندب الحمقاء، وأمُّ سعيد، وأمُّها فاطمة بنت الوليد، وعائشة وأمّ أبان وأمّ عمر، وأمُّهن رَمْلة بنت شَيبة بن ربيعة، ومريم الصُّغرى، وأمُّها نائلة بنت الفَرافِصَة، وأمُّ البَنين لأُمٍّ وَلَد.

---

(١) الأغاني ٢/ ٢٥٣، وانظر نسب قريش ١١٠، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٧٥.
(٢) المعارف ٢٠٢، وأنساب الأشراف ٥/ ٢٦٩ـ٢٧١.

فأما مريم الكُبرى فتزوّجها سعيد بنُ العاص بن أمية، وكان قد تزوَّج سعيدٌ قبلها أختها أمَّ عمرو بنت عثمان فهَلَكت عنده، فتزوّج بعدها أختَها مريم، فهلك عنها، فتزوَّجها عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، فهلكت عنده.

وأما عائشة بنت عثمان فتزوَّجها الحارث بنُ الحكم بن أبي العاص، ثم خلف عليها بعده عبد الله بنُ الزبير.

وأما أم أبان بنت عثمان فتزوَّجها مروان بنُ الحَكَم.

وأما أم سعيد بنت عثمان فتزوَّجها عبد الله بن خالد بن أَسِيد بن أبي العِيص.

وأما مريم الصُّغرى فتزوَّجها عَمرو بن الوليد بن عُقبة بن أبي مُعَيط.

وأما أمُّ البَنين فتزوّجها عبد الله بن يزيد بن أبي سفيان بن حرب.

ذكر موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه:

كان له عِدَّة من الموالي، المشهور منهم: حُمران وكَيْسان.

فأما حُمران بن أبان فكُنيتُه أبو زيد، وهو من سَبْي عينِ التَّمر، سباه المسيَّب بن نَجَبة الفَزاري في أيام أبي بكر رضي الله عنه، وكان الأمير خالد بن الوليد، وكان حُمران يهودياً فأسلم، فأعتقه عثمان، وكان يَكتب له، ثم تزوَّج امرأةً في عِدَّتها، فجلده عثمان ونَفاه إلى البصرة، وهو الذي سعى بعامر بن عبد القيس حتى نفاه عثمان بن عفان إلى الشام، وقد ذكرناه.

وقد ذكره ابنُ سعد في الطبقة الثانية من أهل المدينة في الموالي فقال: حُمران بنُ أبان مولى عثمان، روى عن عثمان، وتحوَّل إلى البصرة فنزلها، وادَّعى وَلَدُه أنهم من النَّمِر بن قاسط بن ربيعة، وكان كثيرَ الحديث، ولم أرهم يَحتجُّون بحديثه[1].

وقيل: إنه أفشى سرَّ عثمان، فنفاه إلى البصرة، وقيل: سببُ نفيه أن عثمان بعثه إلى الكوفة ليكشِفَ عما قيل عن الوليد بن عُقبة، فرشاه الوليد، فلم يُخبر عثمان وأخبر مروان، فأخبر مروان عثمان، وقد ذكرناه[2].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٢٧٩.

(٢) انظر ترجمة حمران في المعارف ٢٠٢ و٤٣٥، وتاريخ دمشق ٥/ ٢٨٨، والسير ٤/ ١٨٢.

وأما كَيْسان مولى عثمان فكُنيتُه أبو فَروة، وولدُه عبد الله بنُ أبي فروة كان عظيمَ القَدْر، وكان مع مُصعب بن الزبير لما قُتل، فحَمل أموال مصعب إلى مكة، وكانت عشرة آلاف ألف درهم[١].

ذكر مسانيد عثمان بن عفان:

واختلفوا فيها، قال قوم: روى عن رسول الله ﷺ مئةً وستةً وأربعين حديثاً، وقال ابن البرقي: أسند نحواً من أربعين حديثاً، وقال أبو نُعيم: نيّفاً وستين حديثاً سوى الطُّرق.

وأخرج له أحمد أحداً وخمسين حديثاً، ذكرها جدي في «جامع المسانيد»، أخرج له منها في «الصحيحين» ستة عشر، المتفق عليها منها ثلاثة، وانفرد البخاري بثمانية، ومسلم بخمسة[٢].

وروى عثمان عن أبي بكر وعمر، وروى عنه أعيانُ الصحابة: العبادلة، وزيد بن ثابت، وعمران بن حُصين، وأنس، وأبو هريرة، والمغيرة بن شُعبة، وزيد بن خالد الجُهَني، وأبو قتادة في آخَرين، ومن التابعين عبد الله بن عامر بن كُرَيز ابنُ خال عثمان، ومروان بن الحكم ابنُ عمه، وبنو عثمان: أبان وسعيد وعُمر في آخرين.

وليس في الصحابة مَن اسمُه عثمان بن عفان سوى رجلين؛ أحدهما صاحب هذه الترجمة، والثاني عثمان بن عفان الثقفي، ذكره جدّي في «التّلقيح» في أسامي الصحابة[٣]، ولم يَذكره فيمن له رواية، والظاهر أنه عثمان بن أبي العاص الثقفي، وقد فرّقنا في الكتاب جملةً من مَسانيد عثمان.

قال أحمد بإسناده، عن محمود بن لبيد، عن عثمان بن عفان قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن بنى لله مسجداً بنى الله له مثلَه في الجنة». أخرجاه في «الصحيحين»[٤].

انتهت ترجمة عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه[٥].

---

(١) في المعارف ٢٠٢: فحمل عشرة آلاف درهم، فذهب بها إلى المدينة.

(٢) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٦٤، ٣٩٦.

(٣) في مطبوع التلقيح ٢٢٩: عثمان بن عثمان الثقفي.

(٤) مسند أحمد (٤٣٤)، وصحيح البخاري (٤٥٠)، ومسلم (٥٣٣).

(٥) انظر في ترجمة عثمان ـ إضافة إلى ما ذكر من مصادر: تاريخ المدينة ٣/ ٩٥٢، والاستيعاب (١٨٧٨)، =

فصل وفيها توفي

عِياض بن زهير

ابن أبي شدّاد بن ربيعة بن هلال الفِهريّ، وكُنيته أبو سعد، من الطبقة الأولى من المهاجرين وأمه سَلْمى بنت عامر بن ربيعة، فهريّةٌ أيضاً، هاجر إلى الحبشة الهجرةَ الثانية في قول ابن إسحاق والواقدي، ثم قدم المدينة مهاجراً قبل بدر، فشهد بدراً وأحداً والمشاهد كلَّها مع النبي ﷺ، قالوا: وهو عمُّ عياض بن غَنْم الفهري والي الجزيرة.

ومات عياض بنُ غَنْم في سنة عشرين، وصاحبُ هذه الترجمة في سنة خمس وثلاثين، وليس في الصحابة مَن اسمُه عياض بن زهير غيرُه، وله رواية وصُحبة[١].

وفيها تُوفّي

فيروز الدَّيلمي الحِميريّ

نُسِب إلى حِمْيَر لأنه نزل فيهم، وذكره ابن سعد في الطبقة الرابعة في الوافِدِين على النبي ﷺ وقال: هو من أبناء فارس الذين بعثهم كسرى لنَفْي الحبشة من اليمن، فنَفَوْهُم عنها وأقاموا بها[٢].

وفيروز هو الذي حضر قتلَ الأسود العَنْسي، وقال رسول الله ﷺ لما جاء الخبرُ من السماء بقتل الأسود: «فاز فيروز الرجلُ الصّالح».

وكُنية فيروز أبو عبد الرحمن.

وقال جدّي رحمه الله في «التلقيح»[٣]: فيروز ابن أخت النَّجاشي.

= والحلية ١/ ٥٥ ، والمنتظم ٤/ ٣٣٤ و٥/ ٤٩ ، وصفة الصفوة ١/ ٢٩٤ ، وتهذيب الكمال وفروعه، والإصابة ٢/ ٤٦٢ .

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣٨٦ ، والاستيعاب (١٩٣٨)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ٢٣٩ ، والتبيين ٤٩٤، والإصابة ٣/ ٤٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٧ .

(٣) ص ٢٤٢ .

وقال الواقدي: وكان لفيروز ثلاثةُ أولاد: عبد الله والضحاك وعيَّاش، وكُنية عبد الله أبو بِشر، ويُقال: أبو نَسْر بنون وسين[١].

صحب عبد الله معاذ بنَ جَبَل بالشام إلى أن مات، وسكن فلسطين والأردن، وحدّث عن معاذ، وأبيّ بن كعب، وابن مسعود، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحُذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، وحَنَش بن عبد الله، وعن أبيه فيروز.

وروى عنه يحيى بن أبي عمرو السَّيباني، ومحمد بن سيرين، وحُكَيم بن زُرَيق الأيلي. وَفَد على عمر بن عبد العزيز.

والضحاك بن فيروز صحب عبد الملك بن مروان[٢].

وليس في الصحابة مَن اسمُه فيروز سواه.

وقيل: مات في هذه السنة، قال ابن سعد: مات في خلافة عثمان بن عفان، ولم يَذكر تاريخَ وفاتِه[٣].

أسند فيروز عن رسول الله ﷺ أحاديث، أخرج له أحمد في «المسند» ثلاثةَ أحاديث.

الحديث الأول: قال أحمد بإسناده عن الأوزاعي، عن عبد الله بن فَيروز الدَّيلمي، عن أبيه: أنهم أسلموا وبعثوا وَفْدَهم إلى رسول الله ﷺ ببيعتهم وإسلامِهم، فقبل ذلك رسول الله ﷺ منهم، فقالوا: يا رسول الله، نحن مَن قد عَرفتَ، وجئنا من حيث قد عَلمتَ، وأسلمنا فمَن وَلِيُّنا؟ فقال: «الله ورسولُه»، قالوا: حَسبُنا.

الحديث الثاني: قال أحمد بإسناده عن ابن فَيروز الدَّيلمي، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيُنْقَضَنّ الإسلامُ عُروةً عُروة».

الحديث الثالث: قال أحمد بإسناده عن الضحاك بن فيروز: أن أباه فيروز أدركَه الإسلام وتحته أختان، فقال له النبي ﷺ: «طَلِّق أيَّتهما شِئتَ»[٤]. وأخرج له غيرُ أحمد أحاديث.

---

(١) لم يذكر هذا أحد ممن ترجم له، والصواب: أبو بُسر، انظر الإكمال ١/ ٦٠، وتاريخ دمشق ٢٧/ ٢٩٥.

(٢) في (خ): وفد على عمر بن عبد العزيز والضحاك بن قيس وصحب عبد الملك بن مروان، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٧/ ٢٩٣ و٨/ ٤٠٦ (خ).

(٣) طبقات ابن سعد ٦/ ٣١٨ و٨/ ٩٣.

(٤) مسند أحمد (١٨٠٣٧) و(١٨٠٣٩) و(١٨٠٤٠).

وقال ابن سعد: وَفَد فيروز على رسول الله ﷺ، وروى عنه أحاديثَ، منها حديثٌ في القِدْر، قال وبعضُهم يَروي عنه فيقول: حدَّثني الدَّيلمي، وبعضهم يقول: الحِميريّ، وبعضهم يقول: عن الدَّيلم، وهذا كلُّه واحد.

قال ابن سعد بإسناده عن مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني، عن الدَّيلمي قال: قلتُ: يا رسول الله، إنا بأرضٍ باردة، وإنا نَستعين بشرابٍ من القَمح، قال: «أيُسْكِر؟» قلتُ: نعم، قال: «فلا تشربوه»، ثم أعاد فقال له كذلك، فقال: إنهم لا يَصبرون عنه، قال: «فإن لم يَصبروا عنه فاقتُلْهم»[١].

وفيها تُوفّي

مُعاذ ابن عَفْراء

وعفراء اسمُ أمّه، وأبوه الحارث بن رِفاعة بن الحارث بن سَواد بن مالك بن غَنْم، ومعاذ من الطبقة الأولى من الأنصار، وسنذكر أمّه في آخر ترجمته.

وحكى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: ويُروى أن معاذ بنَ الحارث ورافع بن مالك الزّرَقي أول مَن أسلم بمكة من الأنصار، ويُجعل في الثمانية نَفَرٍ الذين أسلموا أوَّل مَن أسلم من الأنصار بمكة، قال: ويُجعل في الستّة النفر الذين يُروى أنهم لقوا النبي بمكة من الأنصار فأسلموا، ولم يَتقدَّمهم أحد.

قال محمد بن عمر: وأمرُ الستة أثبتُ الأقاويل عندنا.

قال: وشهد معاذ العَقَبَتين في روايتهم جميعاً، وبدراً وأُحداً والمشاهدَ كلَّها مع رسول الله ﷺ، وآخى رسول الله ﷺ بين معاذ ومَعمر بن الحارث[٢].

وكان معاذ يَتصدّق بجميع ما يُفتح به عليه.

قال هشام: وكان عمر بن الخطاب يَبعث إلى أهل بدر حُلَلاً، ويبعث إليه بالحُلّة، فيبيعها ويَشتري بثمنها رقاباً فيُعتقهم.

---

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٣١٨ و٨/ ٩٣ . وانظر ترجمة فيروز في المعارف ٣٣٥ ، والاستيعاب (٢٠٨١)، وتاريخ دمشق ٥٨/ ١٩٨ ، والإصابة ٣/ ٢١٢ .

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٦ .

وروى ابن أبي الدنيا بإسناده إلى ابن أبي ليلى قال: كان معاذ بن عَفراء لا يَدع شيئاً إلا تصدق به، فلما وُلد له مولودٌ استشفعت إليه امرأته بأخواله، فكلّموه وقالوا: إنك قد أَعلْتَ، فلو جمعتَ شيئاً لوَلَدك، فقال: إن نَفْسي قد أبَتْ إلا أن تَستترَ بكلِّ شيءٍ أجده من النار. فلما مات ترك أرضاً إلى جَنْب أرضٍ لرجل، فاحتاج إليها جارُه، فباعها وليُّ صبيانه بثلاث مئةِ ألف درهم، وكانت تُساوي عشرة دنانير[١].

ذكر أولاده: قال ابن سعد: كان له من الولد عُبيد الله، وأمُّه حَبيبة بنت قيس بن زيد، من الأوس، والحارث وعوف وسلمى، وهي أمُّ عبد الله، ورَمْلة، وأمُّهم أمُّ الحارث بنت سَبْرة بن رِفاعة، من بني النّجّار، وإبراهيم وعائشة، وأمُّهما أمُّ عبد الله بنت نُمَيْر، من جُهَينة، وسارة، وأمُّها أمُّ ثابت، وهي رَمْلة بنت الحارث بن ثعلبة، من بني النجّار[٢].

وليس في الصحابة مَن اسمُه معاذ ويُنسب إلى أمِّه عفراء غيرُه.

وذكر جدّي في «المنتظم»[٣] أنه توفي في هذه السنة، ولم يذكر ابن سعد تاريخَ وفاته بل قال: تُوفّي معاذ بن الحارث بعد قتلِ عثمان بن عفان؛ أيّام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وله اليوم عَقِب[٤].

ذكر أمِّه عَفْراء: قال ابن سعد: وهي عَفْراء بنت عُبيد بن ثَعْلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار، وأمُّها الرعاة بنت عديّ، من بني النجّار، تزوّجها الحارث بن رِفاعة، فوَلَدت له مُعاذاً ومُعوّذاً وعوفاً، وشهدوا بدراً، أسلمتْ وبايعتْ رسول الله ﷺ[٥].

وليس في الصحابيات مَن اسمُها عفراء سوى اثنتين: إحداهما هذه، والثانية عفراء بنت السَّكَن بن رافع، أنصارية أيضاً[٦].

---

(١) المنتظم ٥/ ٧٣ـ٧٤، وصفة الصفوة ١/ ٤٧٢ـ٤٧٣.

(٢) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٦.

(٣) د/ ٧٣.

(٤) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٥٦، وانظر في ترجمته: الاستيعاب (٢٢٧٢)، والاستبصار ٦٥، والسير ٢/ ٣٥٨، والإصابة ٣/ ٤٢٨.

(٥) طبقات ابن سعد ١٠/ ٤١٢.

(٦) تلقيح فهوم أهل الأثر ٣٣٩.

قلت: وعَفراء بنت عبيد [أمّ] صاحب هذه الترجمة هي التي شهد لها بدراً سبعُ بنين مُسلِمين، وقد ذكرناهم في غزاة بدر.

فصل وفيها توفّي

أبو لُبابةَ

ابنُ عبد المنذر بن رفاعة بن زَنْبر بن أمية، من الطبقة الأولى من الأنصار [من] بني عمرو بن عوف، وقيل: اسمه بَشير، وإنما اشتهر بكنيته، وأمه نسيبة بنت زيد بن ضُبَيْعَة، من بني عمرو بن عوف.

شهد أبو لبابة المشاهدَ كلّها مع رسول الله ﷺ ما عدا بدراً، فإنه ردّه رسول الله ﷺ لما خرج إلى بدر من الرَّوحاء، واستعمله على المدينة، وضرب له بأجره وسَهْمه، فكان كمن شَهدها، وقد ذكرناه. وشهد أُحداً، واستخلفه رسول الله ﷺ على المدينة أيضاً حين خرج إلى غزوة السَّويق، وكانت معه راية بني عمرو بن عوف يوم الفتح.

وهو الذي ربط نفسه إلى سارية لما قال لبني قُرَيظة: الذَّبح الذّبح، ثم تاب الله عليه، وفي الصحابة آخر يُقال له أبو لبابة من بني أسلم.

وقد روى أبو لُبابة بن عبد المنذر الحديثَ عن رسول الله ﷺ.

ذكر أولاده: كان له من الولد: السّائب وأمُّه زينب بنت خِذام أنصارية، ولُبابَة وبها كان يُكنى، تزوّجها زيد بن الخطاب فوَلَدت له، وأمُّها نسيبة بنت فَضالة أنصارية.

وكان لأبي لُبابة أخوان: مُبَشِّر ورفاعة لأبيه وأمه، شهد مُبَشّر بدراً، وقُتل يومئذ شهيداً، قتله أبو ثور، وأخوه رفاعه قُتل يوم أحدٍ شهيداً[1]، وقد ذكرناه، وهذا ما انتهى إلينا.

(١) طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٢ و٤٢٣ ، والمعارف ٣٢٥ ، والاستيعاب (٣١٢٣)، وتلقيح فهوم أهل الأثر ١٩١ و٢٨٠ ، والاستبصار ٢٧٦ ، والإصابة ٤/ ١٦٨ .